جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مسألة الحدود

بين الجزائر العثمانية والمغرب

من أوائل القرن16م الى منتصفه

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستير

تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطلبة:

- **حديدي عائشة**
- **دمدوم بريزة**
- **بركات ليندة**

إشراف الأستاذ:

حسين محمد الشريف

السنة الجامعية: 1435 – 1436 هـ

2014 – 2015 م

الإهداء

إلى من قال فيهم الرحمان ((وبالوالدين إحسانا))

الوالدين الكريمين

إلى الإخوة والأخوات كل واحد باسمه

إلى الأبناء الأعزاء

إلى طلبة جامعة المسيلة وخاصة طلبة قسم التاريخ

نهدي ثمرة جهودنا من خلال هذا العمل

وإلى أرواح شهدائنا الطاهرة

عائشة،، بريزة،، ليندة

كلمة شكر

قال الله تعالى: (وإذْ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

بادئ ذي بدء نحمد الله تعالى حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن مكننا من إتمام هذا العمل ونسأله أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم.

ولأنّ الإعتراف لأهل الفضل بفضلهم واجب يطوق عنق صاحبه فإننا نزف أسمى آيات الشكر و الإمتنان إلى أستاذنا المشرف الدكتور حسين شريف، على ما بذله من علمه ليخرج هذا العمل على هذه الصورة.

والشكر موصول إلى كافة أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة على ما بذلوه معنا طوال سنوات الدراسة .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: وضعية الحدود بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى قبل الوجود العثماني	
حدود مملكتي تلمسان وفاس	8
1- الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط وتلمسان	8
2- الموقع الجغرافي للمغرب الأقصى وفاس	10
العلاقات الزيانية المرينية	11
الصراع المريني الزياني على الحدود	12
أولا: الحملات المرينية على تلمسان	12
1- حملة أبي يحي على تلمسان الأولى والثانية	12
2- حملة أبو يوسف ابن يعقوب المريني على تلمسان وسجلماسة	13
3- حملات أبي يعقوب بن يوسف المريني على تلمسان	16
4- حملة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني على تلمسان	18
5- حملات أبو الحسن المريني على تلمسان	18
6- حملة أبي سالم المريني على تلمسان	21
7- حملة أبو فارس عبد العزيز المريني على تلمسان	22
8- حملة أبو العباس أحمد المريني على تلمسان	23
ثانيا: حملات يغمراسن على سجلماسة وكلدمان	24

الفصل الثاني: وضعية الحدود بين الجزائر العثمانية والدولة السعدية

ضعف الدولتين الزيانية والمرينية وبداية الصراع العثماني السعدي على مناطق الحدود 27

أولا: ضعف الدولة الزيانية وبداية النفوذ العثماني في تلمسان 27

1- ضعف الدولة الزيانية 27

2- الصراع الإسباني العثماني على تلمسان 28

3- نهاية حكم الزيانيين في تلمسان 30

ثانيا: ضعف الدولة المرينية وبداية العداء العثماني السعدي 31

1- ضعف بني وطاس 31

2- تنامي القوة السعدية أواخر العهد المريني 32

3- بداية العداء العثماني والدولة السعدية 33

الصراع حول مناطق الحدود بين العثمانيين والسعديين 34

1- حملة محمد الشيخ الأولى والثانية 34

2- حملة أبي محمد بن عبد الله على تلمسان وتحالفهم مع الإسبان 35

موقف حكام الجزائر اتجاه الحملات المغربية 37

1- حملات حسن بن خير الدين على تلمسان 37

الحملة الأولى 37

الحملة الثانية 38

الحملة الثالثة 39

2- حملة صالح رايس وأبي حسون على تلمسان 39

3- حملة القائد رمضان وعبد الملك على فاس 42

الفصل الثالث: وضعية الحدود بين الجزائر العثمانية ودولة الأشراف العلويين

الحملات المغربية العلوية على الحدود الجزائرية 45

1- حملة المولى محمد بن الشريف العلوي على تلمسان 45

2- حملة المولى الرشيد بن الشريف العلوي على بني يزناسن 50

3- حملة المولى سليمان بن محمد على وجدة 50

4- حملة المولى إسماعيل بن الشريف العلوي على الجزائر 52

ردود فعل حكام الجزائر من الحملات المغربية 53

1- رد فعل الداي أحمد باشا حاكم الجزائر 53

2- رد فعل الداي شعبان حاكم الجزائر 55

التحالفات المغربية ضد إيالة الجزائر 57

1- التحالف الفرنسي المغربي وحملة إسماعيل على بني يزناسن والاستيلاء على تلمسان 57

2- التحالف المغربي التونسي الأول وحملة إسماعيل على الجزائر 58

3- التحالف المغربي التونسي الثاني 59

الخاتمة 63

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة:

1- التعريف بالموضوع وأهميته:

تنوعت الأحداث التاريخية الجزائرية العثمانية و شغلت حيزا كبيرا من الدراسات التاريخية بأقلام المؤرخين والرحالة الأجانب وبعض المغاربة والجزائريين الذين عاصروا فترة التواجد العثماني ببلاد المغرب العربي والتصدي للهجمات الصليبية على السواحل المغربية .

لقد كان الوجود العثماني بالمنطقة ينم عن قوة كبيرة تمكنت من دحر الاسبان والبرتغال، هذا وقد ظهرت القوة المغربية ممثلة في الدولة السعدية ثم الدولة العلوية بالمغرب الأقصى التي رفضت الانضواء تحت لواء السلطة العثمانية، وهذا ما نجم عنه صراع حول منطقة الحدود بين الطرفين استغرق وقتا طويلا بينهما، كان في شكل حملات عثمانية نحو المغرب والعكس صحيح، كان لهذا الصراع بصمة واضحة في رسم العلاقات بين البلدين (الجزائر والمغرب الأقصى).

لذلك ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا هو:<<مسألة الحدود بين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى خلال الفترة الزمنية الممتدة من أوائل القرن16م الى منتصف القرن19م>>.

2- أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع إلى الرغبة في البحث والاستفادة العلمية ومحاولة الكشف عن جانب من جوانب تاريخ الجزائر الحديث فيما يتعلق بمسألة الحدود بين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى خاصة وأن هذا الموضوع مازال يتواصل إلى الوقت الراهن، وكون الموضوع على درجة قصوى من الأهمية تستدعي الدراسة والإهتمام رغم ذلك لم تسلط عليه الأضواء عكس العلاقات بين البلدين، لذلك آثرنا الخروج من دائرة البحوث التاريخية الكلاسيكية التي تتعلق بالحروب والمعارك إلى اثارة الجدل والنقاش وتوجيه البحث إلى كشف جانب مظلم تتضارب الأقاويل حول خلفيته وقد زادنا تشجيع الأساتذة دفعا قويا للمضي قدما في إنجاز هذا العمل.

الإشكالية:

ونظرا الى الثراء الواسع الذي يتميز به الموضوع فانه من الطبيعي أن يطرح أسئلة عديدة و متشعبة يصعب الالمام بها في عمل واحد، وعليه فالموضوع يناقش اشكال جوهري يتمثل في :ماهي جذور و خلفيات قضية الحدود بين الجزائر العثمانية والمغرب ؟ هل تدخلت هذه المسألة في رسم العلاقة بين البلدين ؟

وقد اندرج تحت هذا الاشكال تساؤلات فرعية نذكر منها:

- هل كان هناك وجود لمسألة الحدود بين الجزائر والمغرب قبل الفترة العثمانية بالجزائر؟
- لماذا ظهرت هذه القضية في الفترة العثمانية ؟
- ماهو الحيز الجغرافي الذي شغل موقع بارز في النزاع الحدودي بين الطرفين في الفترة المذكورة ؟
- هل رسمت الحدود بين البلدين في هذه الفترة بشكل ثابت أم هناك متغيرات أخرى؟

3- **منهج الدراسة**:

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك راجع لطبيعة الموضوع والفترة الزمنية المدروسة، حيث قمنا بتقديم وصف للأحداث والمجريات والتطورات التاريخية التي شهدتها منطقة المغرب العربي عامة والجزائر والمغرب الأقصى خاصة، ثم بعد ذلك قمنا بتحليل تلك الأحداث وإبراز انعكاساتها على البلدين.

4- **خطة العمل**:

اقتضت طبيعة الموضوع المدروس تقسيمه إلى:

مقدمة

ثلاثة فصول

خاتمة

تناولنا في الفصل الأول العلاقة بين الجزائر والمغرب قبل العهد العثماني أي العلاقة بين الزيانيين والمرينيين، حيث قمنا بإعطاء لمحة عن وضعية الحدود في هذه الفترة، وكذا تدخلات المرينيين في شؤون الزيانيين وردود فعل هؤلاء وما نجم عنها.

وفي الفصل الثاني تناولنا العلاقة بين الجزائر العثمانية والأشراف السعديين، وذلك من خلال الحملات التي وجهها حكام الأسرة السعدية إلى الجزائر وردود فعل حكام الجزائر إزاء هذه الحملات.

أما الفصل الثالثفقد تطرقنا العلاقة بين الجزائر العثمانية والأشراف العلويين وذلك من خلال حملات حكام الإشراف العلويين على الجزائر ورد فعل حكام الجزائر، وكذا التحالفات المغربية للإطاحة بالحكم العثماني.

وفي الأخير جعلنا الخاتمة خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة الموضوع حيث حاولنا استخلاص أهم الاستنتاجات التي يسعى البحث لإبرازها.

5- دراسة لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

لقد اعتمدنا في بحثنا على العديد من المصادر التاريخية وباللغتين العربية والفرنسية بالإضافة إلى عدد من المراجع التي تعرضت لموضوع الدراسة من قريب أو بعيد، ونقتصر هنا إلى دراسة أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

أ- الوزان حسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي صاحب كتاب "وصف إفريقيا"، وهو من أهم الدراسات التي أفلت لإفريقيا في القرن السادس عشر، إذ يغلب عليه طابع الوصف الجغرافي للمدن والمواقع التي زارها أثناء رحلته إلى شمال إفريقيا، وقد أفادنا في الدراسة والتعريف ببعض المواقع خاصة في الفصل الأول.

ب- الزياني محمد بن يوسف في كتابه "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"، وقد استفدنا منه كثيرا في الفصول الثلاثة إذ يتناول حقيقة الحملات التي كان يقوم بها حكام المغرب على مدينة الجزائر وهو كتاب ثري جدا بالمعلومات.

ت- الناصري أبو عباس أحمد السلاوي في كتابه "الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى"، فالمؤلف يتعرض إلى الحملات المغربية على الحدود الجزائرية بدقة وتفصيل، وهذا ما يساعد الباحث التاريخي على دراسة موضوعه بكل سهولة ودقة في طرح المعلومات والحقائق.

ث- عبد الرحمان بن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو كتاب ثري جدا وقيم من حيث معلوماته وقد استفدنا منه كثيرا في دراسة موضوعنا.

ج- دوغرامون Degrammont (h.d) تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية. Histoire d'Alger sous la domination turque وقد اعتمدنا فيه بالدرجة الأولى في دراسة إيالة الجزائر أثناء الحكم

العثماني خصوصا في فترة الباشاوات والدايات، وكذا مختلف الأحداث التي مرت بها، وهذا الكتاب لا غنى عنه للباحث في أي موضوع يتصل بالحكم العثماني للجزائر.

بالإضافة إلى بعض المراجع باللغتين العربية والفرنسية نذكر منها: حسين مؤنس في كتابه "تاريخ المغرب وحضارته"، شارل أندري جوليان charlesandré, julien تاريخ إفريقيا الشمالية histoire de l'Afrique du nord

6- **صعوبات البحث**:

من العقبات التي اعترضتنا في رسم الخطوط العريضة هي قلة المادة العلمية التي تتحدث عن موضوع الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى بالاضافة الى وجود اختلاف فكري في القراءات لموضوع الحدود بين الأقلام الجزائرية والمغربية، صعوبة استنطاق الوثائق والمخطوطات، وأن بعض المصادر منها اهتمت بالجزائر بشكل كبير على عكس المغرب، وهذا لحساسية الموضوع واختلاف الأفكار لاختلاف المشارب السياسية و الفكرية المرتبطة به.

واذا كانت الغايات لاتدرك الا بخوض الصعوبات فان خبرة الترحال في ربوع الأرشيفات والمكتبات الوطنية قد أكسبتنا معارف جديدة تجعلنا نتطلعالى دراسات تاريخية أخرى تكون نبراسا لمواصلة البحث في الفترة العثمانية بالجزائر.

وأخيرا نتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ المشرف الذي تفضل بالاشراف على كل مراحل البحث ورعاه منذ أن كان فكرة الى أن آتت الفكرة أكلها و ساعدنا بارشاده ليصل عملنا الى شكله المتواضع هذا.

- **حدود مملكتي تلمسان وفاس.**

1- الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط وتلمسان:

ورد في كتاب ابن خلدون ذكر واضح لحدود المغرب الأوسط حيث قال << ... وأما المغرب الأوسط فقاعدته لهذا العهد تلمسان[1]، وهي دار ملكه وتجاوره من جهة الشرق الجزائري من بلاد صنهاجة[2]ومتيجة والمدية وما يليها إلى بجاية>>[3].

فحسب ابن خلدون امتد المغرب الأوسط شرقا من منطقة بلاد متيجة التابعة لقبيلة صنهاجة الواقعة بجبال القبائل الكبرى ويلي بلاد متيجة من الجنوب منطقة المدية الممتدة إلى بجاية، أما من جهة الغرب فيحدها واد ملوية ومن الجنوب الصحراء.

أما عن تلمسان فقد ذكر الحسن الوزاني حدودها، فقال: "يحد مملكة تلمسان من الغرب نهر ملوية[4]، ومن الشرق نهر الوادي الكبير المسمى بوادي الصومام وصحراء نوميديا من الجنوب، وتمتد مملكة تلمسان من الشرق إلى الغرب على مسافة 530 ميلا، وهي المسافة التقريبية بين نهر

([1])تلمسان هي اسم بربري، وفي لغة الزناتة معناها قوم الإقليم، مركب من (تلم) ومعناه تجمع ومن (سان) معناه اثنان، أي تجمع بين الصحراء والتل، ينظر: محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 09.

([2])صنهاجة قبيلة اختلف في نسبها، فمنهم من نسبها إلى حمير، وصنهاجة شعب كبير جدا موجودين في كل مكان في المغرب، وكانت المواطن التي اختصوا بسكانها في الأول أربعة وهي: أ- الناحية الواقعة بين بجاية والمسيلة وملیانة والمدية والبحر بالمغرب الأوسط، ب- الناحية الواقعة بين المحيط الأطلسي ووادي درعة والسفوح الخلفية لجبال الأطلس، ج- الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس إلى البحر المحيط وبلاد السودان بأقصى الجنوب، ينظر: عبد الوهاب بن منظور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب الأقصى، 1968، ص ص 328 - 329.

([3])عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 6، د ن، بيروت، لبنان، 1959، ص 208.

([4])نهر ملوية: ينظر الملحق رقم 01.

ملوية ووادي الصومام، ولكنه يضيق جدا من الشمال إلى الجنوب، فبين البحر الأبيض المتوسط وبين تخوم صحراء نوميديا لا يوجد في بعض النقاط سوى مسافة خمس وعشرين ميلا تقريبا"[1].

([1])الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط،المغرب الاقصى، 1980، ص 199.

2- الموقع الجغرافي للمغرب الأقصى وفاس:

ورد في كتاب لابن خلدون أن المغرب الأقصى[1] يقع: "... بين وادي ملوية وهو آخر المغرب من جهة الشرق إلى آسفي حاضرة المحيط وجبال دون من جهة الغرب، والجبال الصاعدة المتكاثفة من جهة القبلة، حيط به البحر الكبير من غربيه والرومي من شماليه، وصار كأنه جزيرة وبلد واحد أحاطت به الجبال والبحار وقاعدته لهذا العهد فاس وهي دار ملكه"[2].

وفيما يخص مملكة فاس وحدودها، فقد أشار إليها الحسن الوزاني بقوله: "... تبدأ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا، وتنتهي شرقا إلى نهر ملوية، وتنتهي جزئيا في الشمال على المحيط وعلى البحر الأبيض المتوسط بالنسبة للأجزاء الأخرى"[3].

([1]) كان المغرب الأقصى ينقسم إلى أربع مناطق رئيسية وهي: 1/ المغرب: وهي المنطقة التي تشمل مصب وادي سبو في شرق المغرب الأقصى، 2/ الهبط: وهي المنطقة التي تقع في شمال عرباوة والقصر الكبير في الشمال، 3/ دكالة: وهي البساط الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، 4/ الحوز: وهي المناطق الخصبة الجنوبية – مراكش -، ينظر: مصطفى أبو طيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب – عصر الموحدين وبنو مرين – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 172.

([2]) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج6، ص ص 201، 202.

([3]) الحسن الوزاني: المصدر السابق، ص 199.

- **العلاقات الزيانيةالمرينية:**

غلب الطابع العدائي على العلاقات الزيانيةالمرينية[1]، ولم تشهد بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدا من السلام بين المملكتين، لم يكن في الأصل اتفاق بين الطرفين بقدر ما كان مفروضا على طرف منهما ونقصد به بني عبد الواد[2]الذين كانوا يتحينون الفرص لنقض الهدنة وتجديد الصراع[3]، وحول هذا الشأن جاء على لسان ابن خلدون قوله: "... كانت بين بني عبد الواد وبني مرين[4]فتن متصلة باتصال أيامهم في تلك المواطن بالصحراء وكان الغلب في حروبهم أكثر ما يكون لبني مرين"[5].

إن غلبة الطابع العدائي على العلاقات الزيانيةالمرينية ولد صراعا بين الطرفين على الحدود تجسد في حملات كان الهدف منها توسع كل طرف على حساب أراضي وملك الآخر.

(1) الزيانية: تعود تسمية بنو زيان ابن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكس بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السيط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ينظر: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى اواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 0159.

(2) بنو عبد الواد: أصلها عابد الوادي، عرف بها جدهم من ولد سجيع بن واسين بن يصليتين بن مسرى بن زاكي بن رسيح بن مادغس الأبتر بن قيس بن غيلان بن أليأسن بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ينظر: الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 0159.

(3) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985، ص 569.

(4) بنو مرين يقال لهم بنو حمامة، أما تسميتهم بالمرينيين فذلك نسبة لجدهم مرين بن أمير الناس، أما تسميتهم ببني حمامة فنسبة لجدهم حمامة بن محمد درزين، ينظر: الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 0168.

(5) عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ص 343.

- الصراع المريني الزياني على الحدود

(647هـ – 1250م/ 795هـ- 1392م):

أولا: الحملات المرينية على تلمسان:

1- حملة أبو يحي المريني على تلمسان الأولى والثانية

(647هـ - 1250م) – (655هـ - 1258م)

استنجد الخليفة المرتضى لأمر الله[1]بيغمراسن بن زيان[2] لفك الحصار الذي ضربه أبو يحي المريني على مدينة فاس سنة (647هـ/ 1250م)[3]، فأجابه يغمراسن وقصد تازة، فسمع أبو يحي المريني بذلك، فسار إلى تازة، لكن يغمراسن ارتد عنها فسار أبو يحي في أثره، ونشبت بين الفريقين عدة معارك بوادي ايسلى على مقربة من وجدة، فانهزم يغمراسن وانسحب نحو تلمسان، أما أبو يحي فقصد فاس ونزل بقصرها، وفي سنة (655هـ/1258م) قام أبو يحي بحملة أخرى على تلمسان[4] تصميما منه على إضعاف قوة بني عبد الواد حتى

([1]) الخليفة المرتضى لأمر الله هو: أبو حفص عمر بن السيد إبراهيم ابن الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كان واليا على سلا والرباط، اجتمعت كلمة الموحدين على مبايعته في أوائل شهر ربيع الأول سنة 646هـ بجامع المنصور، ينظر: محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 83.

([2]) يغمراسن بن زيان هو: أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت من بني طاع الله العبد الوادي رأس الأسرة الملكية الزيانية، ولد سنة 1266م، وبويع للملك سنة 1336م، وكان معروفا بالدهاء السياسي والشجاعة والحزم وجزالة الرأي ومكارم الأخلاق، ينظر: عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، ج2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ص 73.

([3]) ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 172.

([4]) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص ص 83، 84.

يأمن جانبهم، فتوجه إلى تلمسان ووجد يغمراسن بالقرب من باب سليط وتكررت هزيمة يغمراسن مرة أخرى[1] وظلت الحدود على ما هي عليه.

2- حملات أبو يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان وسجلماسة (670هـ/1272م) – (680هـ/ 1282م):

بعث الخليفة الموحدي الواثق بالله ليغمراسن مستنجدا به على عدوه أبي يوسف يعقوب المريني الذي حاصر مراكش سنة 666هـ، فنهض يغمراسن منتهزا فرصة ابتعاد أبو يوسف بقواته، فأخذ يغير على الأقاليم الخاصة لبني مرين، وعاث فيها نهبا وسلبا، وهذا ما دفع أبو يوسف على وقف حصاره لمراكش وسار لقتال يغمراسن في منتصف شهر ربيع الأول سنة 666هـ، فالتقى الطرفان بوادي "تلاغ" ونشبت بينهما معركة عنيفة انتهت بانتصار أبي يوسف، أما يغمراسن فقد فر إلى تلمسان واتجه بعدها إلى القبائل المخالفة عنه من "توجين" و"مغراوة" واحتل مليانة (668هـ/1270م)، أما أبو يوسف فقد عاد لمحاصرة مراكش ولم يلبث أن دخلها عنوة فقضى على بني عبد المؤمن، وعندها فرغ لمحاربة يغمراسن بن زيان، ففي سنة (670هـ/1272م) التقى الجمعان بايسلي بنواحي وجدة وتكررت هزيمة يغمراسن، وقتل ابنه فارس، وقام أبو يوسف يعقوب بهدم وجدة حتى لا يلجأ إليها عدوه الزياني، ثم سار إلى تلمسان وتحالف مع بني توجين، فحاصروا

(1) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص ص 172، 173.

تلمسان أياما لكن لم تخضع لهم، فرجعوا عنها، وعقدت هدنة بين يغمراسن وأبي يوسف بن يعقوب سنة (673هـ/ 1274م).

كانت جميع أقاليم المغرب الأقصى خاضعة لسلطان أبي يوسف بن يعقوب إلا سجلماسةفكانت بيد يغمراسن[1]، فأعد أبو يوسف بن يعقوب حملة على سجلماسة وكان السبب هو إضعاف قوة يغمراسن[2] الأمر الذي حمل يغمراسن بن زيان على نقض الصلح ومحاربة بني مرين[3].

(1) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص ص 87، 85.
(2) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ج3، تحقيق جعفر محمد، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1954، ص 36.
(3) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 87.

بعد استيلاء أبو يوسف بن يعقوب على سجلماسة وهزيمة يغمراسن بها، رغب أبو يوسف في غزو النصارى بالأندلس، فأراد أن يؤمن جانبه من جهة يغمراسن كي لا يقوم بحملات على المغرب الأقصى، فبعث للمرة الثانية وفدا من أعيانه لعقد الصلح والسلم فاستجاب يغمراسن لذلك وأرسل بدوره وفدا إلى فاس لعقد المعاهدة تم ذلك سنة (674هـ/ 1276م)[1].

لم يدم الصلح طويلا، إذ قام أبو يوسف بحملة أخرى على تلمسان وذلك لتحالف يغمراسن مع بني الأحمر، ونقضه لمعاهدة الصلح فالتقى الجيشان بمكان يدعى "الملعب" بساحة تلمسان سنة (680هـ/1282م)، وأسفرت المعركة على انهزام يغمراسن وانسحابه إلى تلمسان وتحصنه بها، فحاصرها أبو يوسف وكانت نتيجة الحملة إحداث أضرار بمملكة تلمسان، ولكن معالم الحدود بقيت كما هي عليه بين المملكتين[2].

(1) الناصري ابن العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 39.
(2) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 180.

3- حملات أبو يعقوب بن يوسف المريني على تلمسان (693ه-1290م/698هـ - 1295م)

تواصلت حملات بنو مرين التأديبية لبني عبد الواد، الذين استقبلوا الثائرين على أبي يعقوب يوسف بعد مبايعته اثر موت أبيه يعقوب بن عبد الحق بالجزيرة الخضراء سنة 1286م، وهذا ما أغاظ أبي يعقوب، فجنح إلى عقد السلم مع ملك قشتالة في حين تنازل لبني الأحمر عن ثغوره بالأندلس، وفرغ لحربه مع بني عبد الواد، فتوجه نحو تلمسان لما رفض عثمان أن يسلمه محمد بن عتو، أحد الثائرين على حكمه سنة (691هـ/1288م)، لكنه لم يستطع أن يسيطر على تلمسان فولى إلى المغرب ولحقت به قبيلة مغراوة، التيعاشت بضواحي مدينة تلمسان، فقصدهم عثمان وانتقم منها، وفي سنة (693هـ/1290م) رجع يوسف المريني إلى تلمسان لكنه لم يتمكن منها، وعاد أدرجاه وعند عودته دخل تازة سنة (694هـ /1291م)، وفي نفس السنة بعث إليه ثابت بن منديل رئيس مغراوة يستغيثه على رد هجمات عثمان، فأرسل يوسف المريني شفاعة إلى عثمان العبد الوادي لكنه رفض، فخرج يوسف لغزو تلمسان سنة (695هـ/1292م)[1]، وفي طريقه قام بحملة على وجدة القاعدة

(1) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص ص 98،99.

الأمامية لمملكة تلمسان في نفس السنة[1]، ثم حاصر ندرومة لكنه لم يستطع دخولها وكان ذلك لتهيئة الحصار الطويل على تلمسان[2].

وبالرغم من المقاومة التي واجهت أبو يعقوب بن يوسف بن أبي سعيد بن عثمان خارج المدينة سنة (696هـ/1293م)[3]، إلا أنه ضيق الخناق على العاصمة العبد الوادية وأرغمها على الاستسلام، فذاق أهل تلمسان أثناء الحصار الأمرين، وهلك معظم السكان، وقضي على الكثير من عمارتها[4]، وفي سنة (698هـ/1295م) استطاع أبو يعقوب أن يستولي على كامل تراب تلمسان[5]، وبنى أبو يعقوب معسكرا سماه المنصورة "سنة (703هـ/1302م) أثناء حصاره لتلمسان، وفي نفس السنة توفي السلطان أبو سعيد فخلفه ابنه أبو زيان محمد الذي واصل الكفاح المرير ضد العدو المحاصر بكل عزم وصبر، وفي سنة 706هـ - 1303م قتل السلطان المريني وانتهت محنة أهل تلمسان التي دامت ثماني سنوات، سرعان ما قام أبو زيان وأخوه أبو حمو باسترجاع دولتهما وإصلاح ما أفسدته الحرب[6]، وعادت الحدود بين المملكتين تلمسان وفاس إلى ما كانت عليه.

(1) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 454.
(2) دام الحصار 8 سنوات و3 أشهر وأياما مات فيها نحو العشرين والمائة ألف شخص، وأكل الناس يومئذ الجيف والكلاب والقطط والفئران وحتى أشلاء الموتى، وبلغ ثمن الفأر الواحد عشر دراهم ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 82.
(3) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 455.
(4) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 15.
(5) عبد الله الشريط والمبارك محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1956.
(6) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 90.

4- حملة أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني على تلمسان (714هـ - 1315م)

كان الدافع لهذه الحملة هو نقض السلطان أبو حمو الأول موسى بن عثمان الزياني معاهدة فاس التي كان أبرمها مع السلطان أبي الربيع عبد الله المريني سنة (708هـ - 1309م)[1]، وذلك بإيوائه الثائر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسي، ورفضه تسليمهما لبني مرين، حيث سهل فرارهما إلى الأندلس[2]، وعلى إثر ذلك توجه السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني إلى تلمسان، ونزل بالملعب بساحتها سنة (714هـ/1315م) وحاصرها، أما أبو حمو فتحصن بالمدينة وفشل بذلك الحصار، ولم يتمكن أبي سعيد من دخولها وقهر الزيانيين[3].

5- حملات أبو الحسن المريني على تلمسان (732هـ - 1332م/736هـ - 1336م)

قام أبو تاشفين عبد الرحمان الزياني بحملات على بلاد الحفصيين سنة 728هـ/1328م[4]، فاستنجد السلطان الحفصي أبو بكر يحي بالسلطان المريني أبا سعيد عثمان، وعقدت بينهما مصاهرة بزواج الأمير المريني أبو الحسن بن علي المريني بابنة السلطان الحفصي تمكينا للتحالف، بعدها قام

(1) الناصري ابو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 99.
(2) محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 219
(3) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 504.
(4) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 116.

السلطان أبو الحسن بحملة على تلمسان سنة (732هـ/1332م)[1]، وكان الدافع لهذه الحملة هو نقض أبو تاشفين معاهدة فاس بالاستيلاء على مدينة دلس[2]، وكذا محاصرة بجاية الحفصية حلفاء وأصهار السلطان أبي الحسن المريني الذين تشملهم المعاهدة بعدم الاعتداء على حلفاء كل بلد من فاس وتلمسان[3]، فبعث أبو الحسن إلى أبي تاشفين يأمره بالتخلي عن كل ما وصلت إليه يده من ملك الحفصيين، وينهاه كذلك على الاستمرار في الزحف فرفض أبو تاشفين كل ذلك واستمر في سعيه، فقصد أبو الحسن "تامالت" قرب سيدي بلعباس، ونزلت قواته سنة (733هـ - 1333م)[4]، وحاصر تلمسان وبقي ينتظر السلطان أبي بكر الحفصي[5]، وأرسل أساطيل من سواحل وهران، وبعث بهم إلى حليفه ببجاية للسلطان أبي يحي الحفصي، فانظموا إليه ونهضوا معه إلى غزو مدينة "تيكلات" ثغر بني عبد الواد[6]، لكن أبا الحسن اضطر إلى رفع الحصار والرجوع إلى المغرب لمواجهة ثورة أخيه أبي علي عمرو والي سجلماسة، وبعد القضاء على ثورة أخيه استعد مجددا للاستيلاء على تلمسان، وقام بعدة حملات على مدن زيانية فحاصر ندرومة واستولى عليها سنة (735هـ / 1335م)، وحاصر وجدة واستولى عليها سنة (736هـ - 1336م) كما حاصر تلمسان وبعدها استولى على هنين، ووهران وتنس والشلف ومليانةوالونشريس وبلاد بني

(1) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 226.
(2) الحسن الوزاني، المصدر السابق، ص 352.
(3) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 533.
(4) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 74.
(5) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 527.
(6) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 85.

توجين والمدية وبلاد بني راشد، ودام الحصار والحرب على تلمسان مدة عامين[1]، وبعدها حصل عليها الأمير أبا عنان إثر وفاة أبيه أبي الحسن سنة (772هـ - 1370م)، فقاومه أبو سعيد عثمان الزياني لكنه أسر وقتل بعد ذلك[2].

كانت نتيجة حملات أبي الحسن على تلمسان أن كان هناك اختراق مريني للأراضي الجزائرية وتغيرت بذلك الحدود بين المغرب الأقصى والجزائر.

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص ص 527، 733.
(2) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 88، 89.

6- حملة أبو سالم المريني على تلمسان (761هـ/ 1360م)

سبب هذه الحملة هو قيام أبو حمو بحماية عبد الله بن سالم الزردالي عاهل "درعة" لبني مرين، الذي حمى بعض الخوارج على الدولة المرينية، حيث لجأ هذا الأخير إلى أبي حمو بتلمسان، وهذا ما اعتبره أبو سالم إبراهيم المريني خرقا للمعاهدات المبرمة مع مملكة تلمسان، والتي تنص على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل بلد وعدم حماية أعداء الدولة لكل قطر، وكان هذا كافيا لأن يكون الدافع المباشر وراء استيلاء أبي سالم المريني على تلمسان، فقصدها، فخرج أبو حمو إلى الصحراء مع عرب المعقل[1]، ودخل السلطان المريني تلمسان وجعل عليها أبا زيان محمد الزياني[2]، ورجع السلطان إلى المغرب فقصد أبو حمو تلمسان مما دفع أبو زيان إلى الخروج منها والتوجه إلى بني مرين، وتابعه أبو حمو وهزمه بالونشريس، ومنه فر إلى فاس، واسترجع أبو حمو الكثير من أراضي بلاده من المدية والجزائر، البطحاء، وهران ومليانة، وبعث إلى أبي سالم من أجل السلم، فعقد له ذلك بفاس سنة (767هـ/1366م)[3].

(1) عرب المعقل ينتسبون إلى معقل جدهم ومنه سجير (صغير) ومحمد ومن سجير ولد عبيد الله وثعلب، ومن عبيد الله ذوي عبيد الله البطن الأكبر، دخلوا المغرب رفقة الهلاليين ونزلوا المنطقة التي تلي ملوية ورمال تافيلالت، ينظر: مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص ص 231، 232.

(2) محمد الزياني هو أبو زيان محمد بن أبي سعيد عثمان الزياني، كان قد قبض عليه في بجاية فسجنه أبو عنان وأطلقه أبو سالم ونظمه في مجلسه، ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص ص 260، 261.

(3) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 261.

وأهم ما ميز هذه الحملة هو عودة الحدود بين مملكتي تلمسان وفاس إلى ما كانت عليه قبل حملات أبي الحسن المريني على فاس.

7- حملة أبو فارس عبد العزيز المريني على تلمسان (790هـ/1370م)

في سنة 1369م وفد على السلطان عبد العزيز المريني طائفة من خواص أهل مدينة الجزائر ونواحيها لتقديم بيعتهم، وهم إلى ذلك يشكون جور وظلم بنو زيان[1]، فكانت هذه فرصة سانحة لزحف أبي فارس عبد العزيز المريني على تلمسان واحتلالها سنة 1370م، وهذا ما جعل حمو يغادرها لمدة عامين[2]، وبه استولى عبد العزيز المريني على ملك بني زيان وانتزع من العرب إقطاعاتهم وفرق يومئذ عماله في بلاد المغرب الأوسط بوهران، ومليانة والجزائر، المدية والونشريس، وأقام السلطان المريني بتلمسان إلى أن وافته المنية سنة 1372[3]، وعليه ففي هذه الفترة صارت تلمسان جزء من أراضي المملكة المرينية وتغيرت بذلك الحدود بين المملكتين وأصبحت أراضي مملكة بنو مرين تمتد إلى أراضي بنو زيان في تلمسان وما جاورها.

(1) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 91.
(2) يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص ص 78-79.
(3) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 91.

8- حملة أبو العباس أحمد المريني على تلمسان (795هـ - 1392م)

قام أبو العباس بحملة على تلمسان بعدما نقض أبو حمو المعاهدات السرية التي تنص على عدم تدخل أي من المملكتين في الشؤون الداخلية للمملكة الأخرى، وذلك بتأييد أبو حمو للأمير الثائر عبد الرحمان بن أبي يغلوسن المريني ضد السلطان أبو العباس الذي حاصره بمراكش[1]، فلما قضى عليه أبو العباس توجه صوب تلمسان، فانسحب منها أبو حمو إلى بلاد مغراوة بالشلف، لكن خوفه من ضياع ملكه على يد موسى بن أبي عنان أرغمه على الرجوع إلى المغرب، وبذلك عاد أبو حمو إلى تلمسان سنة (786هـ/1383م)[2].

وعندما تمرد أبو تاشفين عبد الرحمان الزياني على أبيه أبو حمو طلب النجدة من أبي العباس المريني، فقام بحملة على تلمسان وألحق مملكة تلمسان بمملكة فاس، وبعد ذلك أراد أبو تاشفين الاستقلال عن فاس، فأرسل أبو العباس حملة على تلمسان سنة (795هـ/ 1392م) واستولى عليها[3]، وكان الملك بيد يوسف بن أبي حمو الذي خلف أخاه أبا تاشفين وسيطر بذلك على ملك دولة بني زيان[4].

(1) الناصري ابو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 51.
(2) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 297.
(3) الناصري ابو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 76.
(4) عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 753.

طيلة العهد المريني والزياني كانت مسألة الحدود بين الشد والجذب ذلك أن كل مملكة سعت لتوسيع حدودها الجغرافية على حساب جارتها لأن كل دولة تعتبر نفسها الوريث الشرعي لدولة الموحدين ومن حقها هي توحيد بلاد المغرب تحت سلطتهاولسوء حظ الزيانيين أن إقليم تلمسان كان يقع عند خط التماس، وبالتالي كثيرا ما تعرض للاختراق المريني.

ثانيا: حملات يغمراسن على سجلماسة (655هـ/1257م)

وكلدمان (657هـ/1259م)

بعد الحملة التي قام بها يغمراسن على سجلماسة[1]وانهزامه بها، توصل الطرفان أي كل من يغمراسن وأبا محمد عبد الواحد عبد الحق المريني إلى عقد السلم وتم ذلك بينهما بتلمسان سنة (655هـ/1257م)، لكن لم يدم السلم طويلا فسرعان ما نقضه يغمراسنمغتنما فرصة وفاة أبو بكر المريني وخلاف بنو مرين على الملك حيث تقدم يغمراسن إلى كلدمان بشمال شرقي تازة وهناك وجد السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بانتظاره والذي ألحق الهزيمة بجيش يغمراسن ومع ذلك دعا يغمراسن إلى السلم، وتمت الهدنة والصلح بينهما سنة (659هـ/1261م) ونصت المعاهدة على ما يلي:

- إيقاف كل الاعتداءات بين المملكتين.

(1) سجلماسة: هي نفسها تافيلالت، وهي إقليم في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى، له شهرة في صباغة وصناعة الجلد حتى أصبح الجلاب الجلاد الفيلالي ذائع الصيت، ينظر: ليني بروفنصال، دائرة المعارف الإسلامية، مج4، ص ص 521 – 522، ينظر: الملحق رقم 3.

- احترام الحدود القائمة بين المملكتين (وادي ملوية).
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل مملكة.
- عدم القيام بأي عمل عدائي ضد كل مملكة.
- عدم مساعدة أعداء كل مملكة ضد مملكة أخرى.
- عدم التحالف مع أي بلد عدو لكل طرف.
- عدم الاعتداء على حلفاء كل منهما[1].

لكن هذا السلم لم يدم طويلا ،بقي سوى ثلاث سنوات فقط (659هـ/1261م- 662هـ/1664م)، إذ قام يغمراسن بنقضه حيث لم يستسلم لهزيمته في كلدمان، وعدم نجاحه في الاستيلاء على سجلماسة، فصمم الاستيلاء عليها لرغبته في الحصول على مناطق استراتيجية تمكنه من تعزيز قوة مملكته أمام بني مرين وكذا إبعاد الخطر المريني عن بلاده بالإضافة إلى إيجاد قبائل قوية حليفة من المعقل يعتمد عليها في الحفاظ على قوة مملكته الحربية والمالية[2].

والنتيجة هي توسيع حدود مملكته إلى الجنوب الغربي والحصول على مركز مواصلات اقتصادي وتجاري وتجمع سكاني كبير واستراتيجي هام.

(1) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص ص 173، 175.
(2) المصدر نفسه، مج7، ص 175.

-ضعف الدولتين الزيانيةوالمرينية وبداية الصراع العثماني السعدي على مناطق الحدود:

اولا : ضعف الدولة الزيانية وبداية النفوذ العثماني في تلمسان:

1 - ضعف الدولة الزيانية:

حافظت الدولة الزيانية بالجزائر على كيانها مدة 234 سنة (1296م – 1530م) (633هـ - 938هـ) لكن الصراعات الداخلية والحروب المتواصلة أنهكتها[1]، إضافة إلى الصراعات الخارجية، [2]فمن جهة التدخلات الإسبانية في شؤونها الداخلية تمهيدا للإطاحة بها واحتوائها، ومن جهة أخرى التهديد الحفصي والمريني لها، وظهر طرف آخر وهو القوة العثمانية كطرف رابع في الصراع.

فالإسبان الذين قضوا على الحكم الإسلامي بالأندلس عام 1492م وجهوا أنظارهم إلى غزو بلدان المغرب العربي، وفي هذه الفترة وصلت الدولة الزيانية إلى أقصى درجة من الضعف والانحلال، فعملوا على احتلال موانئها وأجزاء من أطرافها واغتنم الإسبان الصراع بين الأخوين أبو زيان الثالث مسعود أبو حمو الثالث حيث تغلب الأول على الثاني وعملوا على بث الفتن حتى لا تقوم وحدة وطنية ضدهم،فاحتل الإسبان العديد من المدن الساحلية الجزائرية،

([1]) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر – من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 50.

([2])walsin (Esterhazy), de la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, C.Crosselin, paris, France, 1940, p27.

وبذلك أصبحت تلمسان بين فكي كماشة يحيط بها الخطر الإسباني من كل جهة، ومع ذلك لم تكن هنالك قوة داخلية تعمل على جمع الشمل للتصدي لهذا الخطر[1].

2- الصراع الإسباني العثماني على تلمسان:

حاول الزيانيون البقاء مستقلين عن كل من الإسبان والأتراك، وهذا ما جعلهم يتحالفون مع الأجانب الأكثر قوة[2]، خاصة وأن الإسبان لم يقبلوا النجاحات التي حققها الإخوة بربروس لتوحيد أجزاء الجزائر تحت سلطتهم وتخوفوا من أن يتجاوز خطرهم إلى إسبانيا نفسها، مما جعلهم يتحالفون مع السلطان الزياني المخلوع أبي حمو الثالث لرد العثمانيين على تلمسان، وبالفعل تمكن الإسبان من محاصرة عروج الذي حاول الفرار ناحية الغرب، ولكن تم القضاء عليه في ماي 1518م في بني يزناسن، وأعاد الإسبان أبو حمو الثالث لحكم تلمسان مقابل دفع ضريبة سنوية.

وبوفاة عروج نصب خير الدين على مدينة الجزائر خلفا لأخيه، فشرع في الاستعداد لمواجهة الإسبان وحليفهم أبو حمو الذي لم يرتح للتطور الجديد الذي شهدته مدينة الجزائر بارتباطها بالدولة العثمانية واستقرار الأمر فيها لخير الدين.

([1]) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 81،82.
([2]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 138.

كما قام خليفته على الملك عبد الله بتأليب عرب الغرب الجزائري على خير الدين وحرك حملة في اتجاه مدينة الجزائر[1].

استطاع خير الدين أن يهزم الحملة التي جهزها الملك الزياني ضده، كما أخضع المناطق الغربية التي تمردت عليه، ثم دخل تلمسان ونصب الأمير الزياني المسعود على عرش تلمسان، بعدما انتزع الملك من أخيه عبد الله الذي ما لبث أن تمرد عليه، فأعان خير الدين بذلك عبد الله على استرجاع ملكه شريطة أن يخطب للسلطان سليم الأول في المنابر، لكن عبد الله تمرد على خير الدين ومال إلى الإسبان، فحاربه بايلرباي الجزائر وانتصر عليه، وعفا عنه وأبقاه على كرسي تلمسان وتعهد له عبد الله بمضاعفة ضريبة التبعية له، ولكن لم يلبث أن تقرب مرة أخرى من الإسبان وتحالف معهم وأمدوه بالمال للثورة ضد خير الدين واتفقوا على أن يهاجموا الجزائر من البر والبحر وذلك سنة (940هـ/1533م) لكن خير الدين تمكن من صدهم بعد معركة عنيفة فاضطر الملك الزياني إلى طلب العفو، فعفا عنه، حيث كان خير الدين يسعى إلى تنصيب ملك موالي له في تلمسان حتى يتمكن من التدخل في شؤونها، وقد أبدى بعض المرونة في ذلك.

(1) عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب (923 – 1069هـ/1517 – 1659م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، 1983،غير منشورة، ص ص 25 - 28.

3 -نهاية حكم الزيانيين في تلمسان:

فقد الزيانيون استقلالهم في حكم مملكتهم التي ما انفكت تتقلص حتى اوشكت ان تكون مقصورة على مدينة تلمسان وضواحيها فقط، منذ النصف الثاني من القرن العاشر هجري، فأصبحوا إما تابعين للإسبان أو للسلطة العثمانية في الجزائر، واستمر الوضع في التدهور تمهيدا لزوالهم نهائيا على الساحة السياسية.

وفي أعقاب الفشل الإسباني الأخير قبالة ساحل مستغانم سنة (954هـ/1547م) استطاع الأتراك أن يحكموا قبضتهم على تلسمان، ونصب حسن بن خير الدين سنة 1548م محمد بن عبد الله الزياني على تلمسان، ثم أخاه الحسن في نفس السنة، وكانا مواليين له، بالرغم من المحاولات التي قام بها الرافضين للحكم العثماني للإطاحة بالنظام الموالي لهم[1].

([1])عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 40، 28، 25. 724.

ثانيا : ضعف الدولة المرينية وبداية العداء العثماني السعدي

1 - ضعف بني وطاس:

كانت ظروف المغرب الأقصى نهاية القرن 15 وأوائل القرن 16 تشبه إلى حد كبير ظروف المغرب الأوسط والمغرب الأدنى في الضعف والانقسام والتفكك، وقد تأثر المغرب الأقصى إلى درجة كبيرة بسقوط غرناطة في أيدي المسيحيين عام 1492 م وخروج الأندلسيين من بلادهم وهجرتهم إلى بلاد المغرب، إضافة إلى الهجومات الإسبانية والبرتغالية على سواحله واحتلال إسبانيا لعدد كبير من موانئه[1]، وقد كان ذلك في عهد الدولة المرينية التي حكمت لمدة 358 سنة (592-961هـ/1196م-1554م) وفي مستهل القرن 16 كانت السلطة في يد بني وطاس إحدى الفرق الصغيرة من بني مرين[2] وقد تميزت هذه الفترة بتفكك وحدة المغرب الأقصى، بسبب تدهور الوضع الداخلي واضطراب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ناحية والاعتداءات الأجنبية المتكررة من ناحية أخرى[3].

([1])رشيد الناضور، السيد عبد العزيز سالم، جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، ج3، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص ص 31،32..

([2]) محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985، ص 17.

([3]) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، العدد 19، ص ص 84-85.

2- تنامي القوة السعدية أواخر العهد المريني

وصلت الدولة الوطاسية إلى درجة من الضعف حتى أصبحت عاجزة عن رد الهجومات الصليبية، وفي هذه الفترة بدأت الدولة السعدية[1] تظهر في درعة في السوس الأقصى[2] وهذا ما ولد رغبة لدى الأهالي بضرورة تغيير الأوضاع وتحرير الأراضي المغربية من المحتلين وقد عرض الأهالي ذلك على أبي عبد الله محمد السعدي فبايعوه[3]، فنزل عند رغبتهم وسار إلى حاحة ونزل بأفعال وظل هناك لمقابلة العدو لكن أدركه الموت سنة 1517 فتولى الآمر بعده ابنه أبو العباس أحمد الأعرج الذي أحرز انتصارات عظيمة على الصليبيين البرتغال بين "تلمست" و"آسفي" وغيرهما من الأماكن التي يستقرون بها فانتشر بذلك ذكره في المغرب الأقصى، وأثار هذا النصر حفيظة الوطاسيين الذين خشوا على ما بقي لهم من نفوذ في فاس فلجؤوا إلى محاربتهم.

كان لأبي العباس الأعرج أخا اسمه أبو عبد الله محمد الشيخ الذي كان واليا على السوس في عهد أبيه وبقي كذلك في عهد ولاية أخيه أبو العباس لكن حدثت فتن بينهما وصلت إلى حد القتال وانتهى الأمر بتغلب أبو العباس على أخيه العباس وأودعه السجن مع أولاده وأصبح ملكا على مراكش، بعدها

(1) الدولة السعدية: يعود أصلها من قرية بني إبراهيم من ينبوع النخل بالحجاز أتوا إلى المغرب في القرن السادس هجري، ينظر: الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 04.
(2) محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 104.
(3) رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 32.

واصل الجهاد ضد البرتغال فطردهم من أغادير سنة 1540، وأرغمهم على إخلاء

آسفي وآزمور وأصيلا من دون قتال عام 1542، بعدما خرج لمد نفوذه على باقي المغرب الأقصى حتى وصل إلى فاس، فحاصرها لمدة عام إلى أن دخلها سنة 1549 وقبض على من تبقى من الوطاسيين وبعثهم إلى مراكش[1].

3- بداية العداء العثماني والدولة السعدية

تمكن أبو حسون الوطاسي أحد أمراء بني وطاس من الفرار من مراكش وطلب مساعدة البرتغاليين والإسبان[2]، وكان من الصدفة أن كان أبو حسون علي بن محمد الوطاسي المعروف بالبادسي في إحدى السفن الإسبانية التي ظفر بها صالح رايس في مدة إمارته على الجزائر سنة 1553 فتعرف عليه صالح رايس فحصلت بينهما مودة، ساعدت أبو حسون على طلب المساعدة من صالح رايس[3]، فأثار ذلك حفيظة السعديين حول مناطق الحدود وبالأخص تلمسان ونجد ذلك من خلال الحملات المتبادلة بين الطرفين على التوالي[4].

(1) محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص ص 104، 105.
(2) الموسوعة العربية العالمية، ط2، حرف الميم، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1999، ص 526.
(3) عبد الرحمان بن محمدالجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994، ص 87.
(4) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 40.

- **الصراع حول مناطق الحدود بين العثمانيين والسعديين:**

1 - حملة محمد الشيخ الأولى والثانية (957هـ/1551م):

قرر السلطان المغربي محمد الشيخ التوسع ناحية المغرب الأوسط بعدما لاحظ تشتت شمل تلمسان، بعد سقوط مملكة الزيانيين مباشرة على يد الأتراك[1] سعيا للحفاظ على عرشه الذي فقده بتراجع نفوذه في المغرب الأقصى[2] هذا من جهة، ومن جهة أخرى مطاردة من يزاحمه على العرش ومنهم أبو حسون[3] الذي تحصن بمدينة تلمسان[4]، التي ذهب إليها السلطان محمد المهدي لمحاصرتها وظل أمام أسوارها 9 أشهر، حتى تمكن من دخولها يوم الإثنين 23 جمادى الأولى (957هـ/1550م) بعد ذلك تمكن السلطان المغربي محمد الشيخ من السيطرة على المنطقة الممتدة إلى غاية وادي الشلف غير أن الأتراك تصدوا له وأجبروه على التراجع إلى فاس[5].

([1]) أحمد توفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530م-1554م، مجلة الأصالة، ع37، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، د ت، ص 44.

([2]) بعدما استقرت الأمور للسعديين في المغرب الأقصى خرج محمد الشيخ لفتح القرى والأمصار حتى وصل إلى فاس وحاصرها لمدة عام ودخلها سنة 1549، ينظر: محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 105.

([3]) الناصر أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 24.

([4]) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 326.

([5]) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 25.

بعد الهزيمة التي تلقاها محمد الشيخ في تلمسان لم يطمئن قلبه إلا بالاستيلاء عليها مرة أخرى، حيث قام بإرسال بعض القبائل للإغارة على حدود

الجزائر عبر وادي ملوية[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى قام السلطان المغربي محمد الشيخ بإعداد حملة بقيادة ابنه عبد القادر الذي بلغ عدد جيشه حوالي 20 ألف مقاتل وتوجه إلى الجهة الشرقية لكنه لم يصل الى مبتغاه، لأن السلطان العثماني أرسل جيوشا لصد هذه الحملة، فرجع الجيش إلى ما وراء وادي ملوية وبه عاد الجزائريون إلى تلمسان حيث نصبوا على عرشها الامير الحسين بن عبد الله الثاني[2].

2 - حملة أبي محمد عبد الله على تلمسان وتحالفه مع الإسبان (965هـ/1558م):

لم تنته حملات حكام المغرب المتتالية على التخوم الجزائرية، حيث في هذه المدة أعد الملك المغربي أبي محمد عبد الله حملته على تلمسان، وكان الدافع لهذه الحملة هو محاولة منه لتحقيق مشروع أبيه التوسعي في الجزائر، وذلك بالاستيلاء على تلمسان معتمدا في ذلك على الحلف السعدي الإسباني[3]، حيث اتفق الملك أبي محمد عبد الله مع فليب الثاني ملك إسبانيا من أجل مهاجمة الجزائر في وقت واحد وأعطى له ضمانا لذلك بوغار بميناء طنجة وحصن

([1]) (haedo (fraudiego), Histoire des rois d'alger; traduit et annote par h,d, de grammont; alger; 1881, p91

([2]) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 234.

([3]) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 404.

صخرة باديس ومدينة باديس سنة (964هـ/1557م) التي كانت عمارة[1] العثمانيين وأساطيلهم لا تخلو منها في كل وقت[2].

في عام (964هـ/1557م) جهز فليب الثاني ثلاثة جيوش كبيرة بموانئ الأندلس قوامها 12000 جندي، حيث أقلع الجيش الأول من قادس باتجاه وهران، ومن مالقة انطلق الجيش الثاني بحرا وبرا باتجاه المرسى الكبير، ومن قرطاجنة توجه الجيش الثالث إلى وهران[3].

في البداية بدأ الإسبان في مهاجمة مستغانم برا وبحرا ومن جهته هاجم المولى عبد الله تلمسان إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها سنة (965هـ/1558م) وذلك راجع لقلة المدافعين عليها لأنهم كانوا في مهمة بقيادة قلج علي[4] من أجل نجدة مستغانم مع الجيش القادم من الجزائر، غير أن حسن بن خير الدين حارب الإسبان وهزمهم في المعركة وأسر الكثير منهم[5]، وهذا ما أدى إلى انسحاب الملك المغربي عبد الله من تلمسان قبل وصول الجيش العثماني إليه[6].

([1]) عمارة، مجموعة من السفن الحربية تكون مجتمعة من بعضها البعض، ينظر: الناصري أبو العباس، أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 49.

([2]) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 49.

([3]) (Haedo; Op, Cit; p78

([4]) قلج علي: أصله من منطقة "كلا بريا" أسره خير الدين في إحدى غزواته في جنوب إيطاليا سنة 1520، وكان أنذاك صبيا، أسلم على يد حسن بن خير الدين كان اسمه الأصلي "لوقا قالييني" واختار لنفسه اسم علي، أما "قلج" فهو لقب يطلق على المسيحيين الذين دخلوا في الإسلام للدلالة على أصلهم المسيحي، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، تنسيق: أبو عمران الشيخ، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1955، ص 370.

([5]) (carrot(h), histoire générale de l'algérie, alger 1910, p 426.

([6]) (Terrasse (Henri), histoire du maroc, T2, casablanca, 1950, p180.

- موقف حكام الجزائر اتجاه الحملات المغربية:

1- حملات حسن بن خير الدين على تلمسان:

الحملة الأولى (958هـ/1550م):

في السنة (958هـ/1550م)، جهز حسن بن خير الدين جيشا قوامه خمسة ألاف رجل من رماة البنادق، وألف فارس منهم وثمانية ألاف رجل من مجاهدي جبال زواوة وخرج الجيش من مدينة الجزائر[1] جاعلا وجهته مدينة وهران وبقي هو بالجزائر مع مجموعة من الجيش العثماني، وذلك للدفاع عنها في حالة حدوث أي طارئ[2]، وعندما وصل الجيش إلى وادي تافيلالت في جنوب شرقي وهران[3] غير وجهته نحو تلمسان بعدما كان عازما على شن حملة ضد الإسبان في وهران حيث وصلته أخبار مفادها احتلال الملك السعدي لهذه المدينة، ومسيره نحو مستغانم ووصوله إلى مجرى نهر الشلف[4]، فأسرع الجيش العثماني لمواجهة الجيش السعدي بقيادة أبو محمد عبد القادر وكان ذلك عند واد المالح[5]، حيث جرت معركة لم تدم إلا ساعات

(1) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 328.

(2) (ricard (robert), les sources médites de l'histoire du maroc, dynastie saadienne, T2, Paris, 1956, p421.

(3) (le tourneau (roger) les débuts de la dynastie saadiennejus qu'a la mort du sultan m'hamed cheikh 1557, alger, 1954, p56.

(4) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 328.

(5) (Le Tourneau; Op, Cit, p56.

ساعات قليلة كانت البداية لصالح العثمانيين الذين تمكنوا من قتل القائد المغربي أبو محمد عبد القادر[1].

ومع ذلك لم يستغل القائد العثماني حسن قورصو[2] الوضع أحسن استغلال حيث وصلت الإمدادات للجيش المغربي عززت قوته العسكرية التي لم يكن بإمكان حسن قورصو مواجهتها، والدخول في معركة حظوظ النصر فيها ضئيلة، وبذلك قرر العودة إلى الجزائر.

الحملة الثانية (964هـ/ 1557م):

أعد حسن بن خير الدين حملة أخرى من أجل استرجاع تلمسان تحت قيادة حسن قورصو حيث جرت مناوشات بين الجيش العثماني والمغربي انسحب على إثرها الجيش المغربي إلى المغرب، فلحق به القائد العثماني حسن قورصو إلى واد ملوية، وهذا ما جعل السلطان المغربي محمد الشيخ يعترف بوضع حدود بين الجزائر والمغرب، وبه أبرم معاهدة مع القائد العثماني حسن قورصو الذي عاد إلى تلمسان ووضع بها حامية على رأسها القائد صفا في حين كان عرش مملكة تلمسان شاغرا فنصب عليه أبا محمد الحسن بن الثابتي الزياني بعد تسعة أشهر من السيطرة المغربية[3].

([1]) (Haedo, Op, Cit, p79.

([2]) حسن قورصو: اسمه الحقيقي بيترو باولو تافيرا أصله من جزيرة كورسيكا الإيطالية، حكم مدينة الجزائر ما بين 1556-1557، ينظر: http://www.echoroukonlin.com/montadashowthread.php?p141276تاريخ الزيارة 2015/04/10على الساعة 14:30

([3])Haedo, Op, Cit, p115.

الحملة الثالثة (966هـ/1559م):

رغم الاتفاق الذي تم بين العثمانيين والسعديين إلا أن السعديين جددوا حملاتهم على تلمسان، وهذا ما جعل حسن بن خير الدين يجهز حملة أخرى لاستعادة تلمسان وذلك بعد تقلده لمنصبه[1]، وخرج من الجزائر بجيش قوامه 6000 جندي و1000 من المشاة الخيالة هذا من جهة، ومن جهة أخرى قام بإرسال أسطول يتكون من 40 سفينة تضم 3000 جندي عثماني إلى مستغانم[2]، ولما علم القائد المغربي بهذه الحملة انسحب، لكن حسن بن خير الدين قرر ملاحقته وعند وادي اللبن[3]، بالقرب من فاس، وجد حسن باشا القائد المغربي في انتظاره، ودارت بينهما معركة كانت الخسائر فيها كبيرة بين الجانبين[4]، لكن المعركة انتهت لصالح الجيش العثماني وبقي حسن بن خير الدين هناك ما يقارب سبع وعشرين يوما بتلمسان ثم عاد إلى الجزائر[5].

2-حملة صالح رايس وأبو حسون على تلمسان (960هـ/1554م):

(1) عبد الرحمان بن محمدالجيلالي، المرجع السابق، ص 90،91.

(2)Haedo, Op, Cit, p155.

(3) واد اللبن: ينظر الملحق رقم 01.

(4)Haedo, Op, Cit, p116

(5) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 39.

اشتهر صالح رايس طيلة حكمه للجزائر بالولوع بغزو البحر والسواحل الاوربية ومزاحمة أساطيل العدو الرئيسية، وخلال مواجهته البحرية للأساطيل الإسبانية غنم صالح رايس سنة 1553 عشرة مراكب إسبانية كان على متنها أبو حسون

الذي طلب منه يد المساعدة من أجل القضاء على الملك المغربي محمد الشيخ[1] وهذا ما جعل صالح رايس يعد حملة خاصة بعد الهجمات المتكررة التي كان يقوم بها محمد الشيخ على تلمسان من فترة لأخرى، وكذا تحريضه للقبائل المغربية للهجوم على الحدود الجزائرية[2]، وبه خرج الأسطول العثماني من العاصمة محتويا على اثنين وعشرين مركبا حديثا وأربعة آلاف جندي عثماني فغزا سواحل مليلة والريف المغربي، وبادر الجيش بالسير برا نحو المغرب بقيادة صالح رايس نفسه ليرد على اعتداء المغاربة على الحدود الجزائرية، فاسترجع تلمسان وتقدم باتجاه فاس فاحتلها سنة 1554، ونصب عليها السلطان الوطاسي أبو حسون لكن بمجرد رجوع الجيش العثماني إلى الجزائر اغتنم السلطان السعدي الفرصة وأعاد الأمر إلى دولته[3]، ومع ذلك رأى صالح رايس أنه من الحكمة تسوية الأمور بين البلدين بطريقة سلمية والصلح[4]، فأرسل وفدا من كبار العلماء يرأسه الشيخ محمد الخروبي الذي فاوض الشريف السعدي باسم السلطان العثماني[5].

(1) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 87
(2) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 27
(3) عبد الرحمان بن محمدالجيلالي، المرجع السابق، ص 87،88.
(4) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 27.
(5) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 130.

كانت المفاوضات حول النقاط التالية:

- اعتراف السلطان العثماني بالاستقلال التام والمطلق للمغرب مقابل اعتراف المغرب بالخلافة العثمانية وذلك جمعا للوحدة الإسلامية من خلال الدعاء للخليفة العثماني في المساجد.
- إطلاق سراح المقيدين المنكوبين من بني وطاس المرينيين والتخفيف عن ضيقهم.
- تحديد وضع الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى.

طال النقاش حول هذه النقاط لكن السلطان المغربي لم يقبل الاعتراف بالخلافة العثمانية، كما لم يقبل بتدخلهم في أمر بني وطاس[1]، ولما بلغ ذلك السلطان العثماني أمر حكام الجزائر أن يأتوه برأسه فقام بعض الجند بالتنكر في هيئة الفارين من الجزائر رغبة في خدمته فرحب بهم وانظموا إلى جيشه ولما سنحت لهم الفرصة قتلوه يوم 29 ذي الحجة 964هـ/23 أكتوبر 1557م وذهبوا برأسه إلى الجزائر ومنه أرسلوه إلى اسطنبول[2]، وهناك أمر السلطان العثماني أن يجعل رأسه داخل شبكة من النحاس وأن يعلق على باب

(1) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 130،131.
(2) محمد سي يوسف، قلج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1989، ص 161.

القلعة فبقي رأسه معلقا إلى أن شفع في إنزاله ولداه محمد وأحمد عام 1547[1]، ومع ذلك أسفرت السفارة على أمر إيجابي: هو رسم الحدود بين الجزائر والمغرب على وادي ملوية حدا فاصلا سنة 961هـ/1553م[2].

3 - حملة القائد رمضان وعبد الملك على فاس (983هـ/1576م):

بعد وفاة الملك السعدي الشريف الغالب (982هـ/1574م) بمراكش خلفه ابنه محمد المتوكل[3]، لكن هذا الأخير لم يعترف به عمه الشيخ عبد الملك، حيث طالب بالعرش لنفسه فذهب إلى اسطنبول واستنجد بالسلطان العثماني مراد الثالث ليعترف له بالخلافة وفي مقابل ذلك يلتزم الملك السعدي عبد الملك بالدعاء له على المنابر إذا ما هو استقر في العرش، فطلب السلطان العثماني من القائد رمضان باشا أن يجهز جيشا لاقتحام تخوم المغرب وفي سنة 983هـ/1575م سار الجيش العثماني قاصدا مدينة فاس[4]، حيث التقى الجيشان في مكان يدعى الركن ببلاد بني ورثان[5]، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش المغربي، وعلى إثر هذه الهزيمة دخل السلطان عبد الملك مدينة فاس سنة 983هـ/1575م وبويع سلطانا على المغرب، ودفع للقائد رمضان

(1) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 32.
(2) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 131.
(3) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 58.
(4) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 402،403.
(5) الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج5، ص 64.

مصاريف الحملة[1]، ثم توجه إلى مراكش واستولى عليها وبه نفذ وعده للسلطان العثماني ودعا له فوق منابر المغرب[2].

بهذا تمكن العثمانيون ولو لفترة قصيرة من الزمن من ضمان سيطرتهم على إقليم المغرب الأقصى من خلال السلطان عبد الملك الذي نصب على فاس بفضله ووعده بالولاء المطلق، وبذلك امتدت حدود المغرب الأوسط بعد هذه الحملة لتصل مدينة فاس.

(1) كان عبد الملك قد اقترض أموالا من الحكومة الجزائرية تقدر بخمسين ألف أوقية ذهبية، واكرمهم بتحف ثمينة، ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 404.
(2)أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 404.

الحملات المغربية العلوية على الحدود الجزائرية

1- حملة المولى محمد بن الشريف العلوي على تلمسان (1057هـ/1647م)

صرف المولى محمد بن الشريف العلوي سلطان المغرب الأقصى عنايته لإحياء ما كان من عهد ملوك المغرب في دولة الأدارسة والموحدين والمرابطين وعصر الفاتحين الأولين، فحاول ضم الجزائر إلى مملكته تحقيقا لطموحاته التوسعية، وبذلك يتم توحيد المغربين: الأقصى والأوسط تحت سلطانه[1]، فبعد أن عجز هذا الأخير في الاستيلاء على فاس ومكناس من الدلائيين[2]، توجه إلى بلاد الجزائر، فبايعه الأحلاف، ثم قصد وجدة واستولى عليها[3]، وبعدها قام بغارات أخرى على قبائل منطقة وجدة قصد مواصلة جهوده التوسعية[4]، ثم توجه إلى بني يزناسن فاستولى على أموالهم، ليعود إليها في فصل الشتاء، و بعد ذلكقام بالإغارة على القبائل الأخرى الخاضعة للأتراك، كأولاد زكري[5]وأولاد علي بن طلحة، وبني عامر، وبني طهر وبني سنوس وأدخلهم في طاعته[6]، وامتدت غاراته بعد ذلك إلى ناحية

([1])عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 136.

([2])الدلائيين: جماعة صوفية من بربر صنهاجة يسمون مجاط، كان جدهم وليا يسمى أبا بكر محمد المعروف بحمى بن سعيد أحمد بن عمر بن يسرى المجاطي، بسطوا سلطانهم على وادي ملوية وتمكنوا من دخول فاس، ينظر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1987، ص 184.

([3])محمدبنيوسفالزيان،دليلالحيرانوأنيسالسهرانفيأخبارمدينةوهران،تقديمالمهديبوعبدلي، الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع،الجزائر، 1979،ص3

([4])الناصريأبوالعباساحمدالسلاوي،المصدرالسابق،ج7،ص20

([5])(Henri Delmas de Grammont Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) présentation de lemnourmerouche édition bouchene 2002, pp199,200

([6])الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، مج7، ص 20.

ندرومة حيث أغار على قبائلها كطفرة، وطرارة وغيرها، وتجرأ بعد ذلك للإغارة على تلمسان وقرأها واستولى على ما وجده من أموال وماشية.

فخرج إليه أهل تلمسان وأفراد حاميتها، فهزمهم شر هزيمة، وقتل منهم عدد كبير، فعاد منهم من نجا إلى الاحتماء بأسوار المدينة و به، رجع محمد بن الشريف الى وجدة، حيث قضى فصل الشتاء هناك[1]، وفي السنة الموالية خرج على طريق الصحراء، وأغار على الجعافرة ونهب أموالهم[2]، فسارعت قبائل حميان وغيرها إلى الدخول في طاعته[3]، وقام بصحبة هذه القبائل بغزو الأغواط وعين ماضي والغاسول وغيرها في الجنوب الجزائري، فنهبها واستولى على أموالها وخيراتها[4] فما كان من الأتراك إلا ان يصنعوا شيئا ليحموا أراضيهم من هذا السجلماسي، فما كان من باشا الجزائر عثمان باشا إلا أن يتفاهم معه، و استقر رأيه أن يكتب إليه ليوضح له هذه الحقيقة[5] فأرسل رسالة بتاريخ 1064هـ/1654م حملها إلى الشريف أربعة من الرسل، اثنان من علماء الجزائر هما:الفقيه النفري والفقيه الحاج محمد بن علي الحضري المزغنائي، والأخران من أركان الديوان، وقد أوضح باشا الجزائر وديوانه في بداية الرسالة مساوئ ما أقدم عليه محمد بن الشريف وإثارته للاضطرابات في البلاد الجزائرية، والأضرار التي نجمت عن ذلك، ولفتوا نظر مخاطبهم إلى أنه مدافع الثبات أمام قواتهم في حرب

([1])Henri Delmas de Grammont , Op, Cit, p202.

([2])الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،ص 20.

([3])Henri Delmas de Grammont , Op, Cit, p202.

([4])حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج2، مج، ج1+ج2، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992، ص ص 228، 229.

([5])الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،صص 20، 26.

حقيقية، قائلين بهذا الصدد: "والخاطف لا يطأ أطويه، كذلك في المثل جندك لا يصبرون لصواعق البارود..

أما أسوار الجعافرة و الكتائب فلا يصدمها إلا سيول الخيول والرماة والرواتب". ثم حذروه بشدة عن سعيه في الاستمرار للإغارة على البلاد الجزائرية، ونصحوه أن كان جادا في طلب الملك أن يقوي جهوده إلى إخضاع حواضر المغرب التي لاتزال في قبضة زعماء البربر[1]، والواضح من هذه النصيحة انهم كانوا يريدون ابعاد اهتمام محمد بن الشريف العلوي عن الجزائر، وادخاله في نزاع مع القوى الأخرى التي كانت قائمة في المغرب الأقصى لينهك قواه ويضعفه ويعجزه عن تهديد أمنهم، وختموا رسالتهم بلهجة لينة حيث ناشدوا الشريف العلوي ألا يتدخل مرة أخرى في مقاطعة تلمسان تحت أي عذر من الأعذار لتكون بينهم حسنة وطيبة.

جاء في رسالتهم بهذا الصدد: « فناشدناهم جدك من الأب والأم، وملك فيه من أخ وخال وعم... لتعلموا أن رأيهم عن معاني الصواب غائب، فكلكم الوشاة من الأقوام»[2].

(1)البربر: يقصد بهم الدلائيين الذين كانوا يسيطرون على فاس وسلا وتطوان وغيرها، ينظر: الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج7، ص 26.
(2)الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،ص 26.

لما قرأ محمد الشريف العلوي الرسالة استاء من مضمونها ولهجتها، وعاقب الرسل، فرد هؤلاء عليه بأنهم مجرد رسل، وأنه عليه أن يجيب رسلهم لا أن يعاقبهم، فكاتبهم لكنه لم يجب باشا الجزائر وديوانه على ما أرادوه، وأعاد الباشا الرسل إلى محمد بن الشريف العلوي، لكنه هذه المرة بدون كتاب، وكان المطلوب منه هو تحديد الشريف العلوي موقفه، إما بالسلام معهم وإما إعلان الحرب، لكن ليس على المستضعفين من القبائل كما كان يفعل، وإنما على الدولة العثمانية، وبقى رسل الجزائر في مفاوضتهم مع طرح حجج مقنعة[1]، وطرحوا مشكلة النزاع القائم وقالوا قولا مأثورا مفاده: «نحن جئناكم لتعمل معنا شريعة جدك، وتقف عند حدك، فما كان جدك يحارب المسلمين ويأمر بنهب المستضعفين، فإن كان غرضك في الجهاد فرابط على الكفار الذين هم معك في وسط البلاد، وإن كان غرضك الاستيلاء على دولة آل عثمان فأبرز إليها واستعن بالرحمن الرحيم، فلا يكون عليك ملام فهذا ما جئنا له والسلام»[2].

(1)الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،ص 76.
(2)حسين مؤنس، مرجع سابق، مج2، ج1+ج2، ص ص 228،229.

ومضى رسل الجزائر بذكر الحجج المقنعة وذكر الأضرار التي نجمت عن تدخلاته قائلين: «... فقد تعطلت تجارتنا وأجفلت عن وطنها رعيتنا، فما جوابك عند الله في هذا الذي تفعله في بلادنا، وأنت ابن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم ورعيتكم على أننا محمولون على الظلم والجور لكن تأبى ذلك همة سلطاننا»[1]، ولما اقتنع محمد بن الشريف العلوي بحجج الرسل وأثروا فيه فقال: « والله ما أوقعنا في هذا المحظور إلا شياطين، انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعنا في معصية، وأبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة إلا بالله»[2]. وقبل ان يمضي مع حكام الجزائر معاهدة السلام وحسن الجوار على أن يكون وادي التافنة هو الحد الجديد الفاصل بين آيالة الجزائر والمغرب الأقصى، تعهد بالالتزام بذلك واحترام الحد الجديد قائلا:« وإني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا ببلادكم، ولا رعيتكم بسوء وإني أعطيكم ذمة رسوله لا قطعن وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضى الله ورسوله»[3].

وفى محمد بن شريف العلوي بما قطعه على نفسه من عهد وما التزم به، ولم يفكر مرة اخرى في اقتحام الجزائر إلى أن خلفه أخوه الرشيد.

(1)الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،ص 76.
(2)المصدر نفسه، ص 76.
(3)المصدرنفسه،ص 76.

2 - حملة المولى رشيد بن الشريف العلوي على بني يزناسن(1057هـ/1665م)

لما تولى الرشيد بن الشريف العلوي الحكم تفاوض مع العثمانيين بالجزائر وبالضبط مع الأغا علي باشا (1665م-1671م) وجدد معه المعاهدة سنة(1075هـ/1665م) المبرمة مع أخيه المولى محمد ليتفرغ للاستيلاء على المغرب، ولكن ما لبث هذا الأخير أن نكث عهده وأغار على بني يزناسن سنة(1075هـ/1665م)، ثم انسحب إلى تازة[1]، واتجه إلى المغرب لتوحيده، حيث كان به أربع وحدات سياسية، فبلاد الهبط والغرب بيد الخضر وغيلان وفاس ومكناس ومنطقتهما بيد الدريدي ومراكش بيد أبو بكر الشيباني[2]، وسجلماسة بيد محمد الصغير بن محمد شريف(1665هـ/1669).

3- حملة المولى سليمان بن محمد على وجدة(1205هـ/1795م):

بعد توقف غارات وحملات المولى اسماعيل على الجزائر واستقرار معالم الحدود بين الجزائر والمغرب بوادي ملوية، أقدم سليمان على ارسال حملة من فاس على وجدة، وكانت يومئذ مع قبائلها تابعة للجزائر وتحت سلطة محمد باي وهران[3]، حيث كتب المولى سليمان الى باي وهران حتى

(1)محمد بن يوسف الزياني، المصدر نفسه، ص 09.
(2)الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7،صص 35، 38..
(3)مذكرات أحمد الشريف الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1754م – 1830م تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن-ت، الجزائر، 1974- ص 51.

يتخلى عن وجدة وقبائلها أو يأذن بالحرب، فتخلى هذا الأخير عن قبائلها من بني يزناسن

وسقوفه أولاد زكري، اولاد علي بن طلحة، قد نتج عن ذلك تغيير في معالم الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى، من واد ملوية الى شرقي وجدة بالشمال ورأس العين بالجنوب[1]، ثم ما لبث سليمان حتى تدخل في شؤون الجزائر وذلك بزرع الفتن والتحريض على الثورات بهدف توسيع حدود المغرب على حساب الأراضي الجزائرية ومن ذلك تشجيعه وتأييده لابن الشريف الدرقاوي على الثورة، وكذا تحالفه مع حمودة بن علي باي تونس على ان يهاجما الجزائر، وفعلا حرض الباي الفتن والثورات وشجع ابن الأحرش[2] وساعده بالمال للقيام بالثورة ضد السلطة التركية[3]، وبه انتهز المولى سليمان فرصة انشغال الجيش العثماني بإخماد الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري وإخماد ثورة ابن الاحرش بالشرق، وحملة الباي حمودة على قسنطينةحيث قام المولى سليمان بحملات على الجنوب الغربي الجزائري بمساعدة قبيلة ذوي شيع واستولى على فقيق زمن حكم الداي مصطفى باشا(1768هـ/1805م)، وعلى اُثر هذه الحملة توسعت الحدود الجزائرية المغربية خاصة بالجنوب الغربي، وذلك من سجلماسة إلى فيقيق

(1)ينظر: الملحق رقم 09.
(2)ابن الاحرش: هو محمد بن عبد الله الأحرش البوادلي ثار سنة 1805 فقضى عليه باي قسنطينة عبد الله بن إسماعيل بناحية بجابة، ينظر: ناصر سعيدوني، ثورة ابن الأحرش بين التمرد والانتفاضة، مجلة الثقافة، العدد 78-1983، ص ص 209، 2017.
(3)ناصر الدين سعيدوني، مجلة الثقافة، العدد 78، ص ص 210، 209

وفي ظروف مشابهة للظروف السابقة قام المولى سليمان بحملات على منطقتي قورارة وتوات واستولى عليهما زمن حكم الداي علي خوجة(1808هـ/1809م)، وبه تغيرت الحدود مرة أخرى من فقيق، الى قورارة وتوات اللتين كانتا تابعتين للجزائر[1]

4 - حملة المولى اسماعيل بن الشريف العلوي على الجزائر (1084هـ/ 1674):

حاول السلطان مولاي اسماعيل سلطان المغرب الأقصى ان يواصل سياسة أسلافه التوسعية، وذلك على حساب الأراضي الجزائرية، اذ شنت الجيوش المغربية العديد من الحملات على آيالة الجزائر، وكان منها حملة المولى اسماعيل، وقد مهد لذلك في البداية لتحريض سكان تلمسان على الثورة ضد العثمانيين من جهة، ومن جهة أخرى اتصل ببعض المرابطين بتلمسان لنفس الغرض، وفي الوقت نفسه اغار اسماعيل على قبيلة سقونة سنة1674م[2] وفي سنة 1676م توجه السلطان المغربي اسماعيل تاركا تلمسان عن يساره وذهب موغلا في الصحراء الى ناحية الجنوب الجزائري[3]، ووصل الى بني عامر وبني هاشم الموالية لمقاطعة وهران[4]، واولاد جرير والحشم حتى وصل الى نهر الشلف ناحية القويعة[5]ودارت

(1)محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 12.
(2)محمدبنيوسفالزياني،المصدرالسابق،ص 13.
(3)عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 189.
(4)(Pinard (J) Aperçu historique statistique et topographique pour l'état d'Alger, Paris, france,1890, p 279.
(5)عبدالرحمان بن محمدالجيلالي،المرجعالسابق،ج3،ص 189.

معركة بينه وبين الجيش العثماني وانهزم على اثرها السلطان المغربي المولى اسماعيل وعاد الى المغرب[1]، ثم اعقب ذلك ترسيم الحدود السياسية بين المملكتين على اعتبار وادي التافنة حدا فاصلا بين المغربين الأوسط والأقصى وكان ذلك عام 1679[2]، بعد الاتفاق الذي حصل بين الطرفين، وفي ظروف مشابهة من الغارات والحملات المغربية على الجزائر تم الاستيلاء على منطقتي قورارة وتوات زمن حكم الداي علي خوجة(1808م/1809م)[3].

والنتيجة لهذه الحملة هي تغيير معالم الحدود بين الجزائر والمغرب، وذلك من فقيق الى قورارة وتوات اللتين كانتا تابعتين للجزائر، وبقيت الحدود على هذه الحال الى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- **ردود فعل حكام الجزائر من الحملات المغربية:**

1- رد فعل الداي أحمد باشا حاكم الجزائر 1064هـ/1654م:

كان رد فعل الداي احمد باشا على الغارات الأخيرة بتوجيه أكبر عدد ممكن من القوات والمدافع نحو الجنوب الجزائري لملاحقة محمد بن الشريف العلوي ومحاربته ولما كان هذا الأخير يعلم انه لا يمكن له مواجهة هذه القوات رجع الى وجدة وهناك تفرق من كان من القبائل على أمل اللقاء في السنة القادمة، وتوجه الى سجلماسة حيث انه لم يتح للقوات العثمانية

(1)محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 17.
(2)عبدالرحمان بن محمدالجيلالي،المرجعالسابق،ج3،ص 190.
(3)محمدبنيوسفالزياني،المصدرالسابق،ص 102.

محاربته، فعادت هذه الأخيرة الى الجزائر بعد أن بلغت تلمسان ولا يبدوا انها أمرت ملاحقة ابن الشريف في سجلماسة، وان مكانتها تسمح لها بذلك فقد كانت تشكو من قلة التموين والوباء المنتشر، كما أن المولى محمد بن الشريف قرر عدم محاربة العثمانيين وذلك لأنه لا يستطيع مواجهتهم عسكريا، وكذا لأنه ليست له بلاد منظمة يستمد منها قوته المادية والبشرية، ولا منطقة نفوذ يطمئن لها، فالمغرب كان مقسما الى وحدات سياسية مستقلة، ففاس ومكناس كانتا بيد أبي عبد الله ومحمد الدلائي، ومنطقة الريف كانت تحت سيطرة أبي محمد عبد الله اعراسن، ومنطقة مراكش كانت بيد ابي بكر عبد الكريم الشيباني[1]، زد على ذلك الاحتلال البرتغالي للمدن والموانئ الأطلنطية كأصيلة والعرائش والمهدية وآزمور، حيث عجز المولى محمد من تحقيق هدفه فرجع الى سجلماسة آملا في الاستيلاء على فاس، وكذا الجنوب الغربي[2].

نفهم من هذا أن مقاومة الإيالة[3] الجزائرية للزحف المغربي كانت محاولة لحفظ ماء الوجه فقط، لذا فإن احمد باشا لم يكن بمقدوره ايجاد قوة كافية لصد الهجوم المغربي بدليل الأزمات التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، ولحسن حظ حاكم الجزائر احمد باشا أن المغرب بدوره عاش خلال هذه

([1])الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،المصدرالسابق،مج7، ص 18، 19، 38، 26، 25.

([2])(Terrasse (Henri) Op, T2, p243.

([3])الأيالة: جمعها أيالات وهي إدارة تطلق على الولاية الإدارية يحكمها والي عام مركبة من سناجق أو وحدات إدارية وقد استبدل نظام الأيالات بنظام الولايات سنة 1864 ينظر: خير الدين التونسي أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

الفترة تفرق وتشتت سياسي زادت حدته الهجومات البرتغالية على السواحل المغربية، ومن هنا فكلا الجانبين اخفقا في محاولة اختراق حدود الاخر.

2 - رد فعل الداي شعبان حاكم الجزائر سنة(1104هـ/1692م):

بعد غارات المولى محمد التي لم تتوقف والسفارتين الجزائريتين اليه من جهة وحملات المولى اسماعيل وتحالفه مع محمد باي تونس واسبانيا، كان رد فعل الداي شعبان عنيفا ازاء هذه الحملات[1]، حيث توجه أولا الى تونس وحاصرها ونصب عليها احمد بن يونس شركسي بايا عليها[2] ثم توجه الى المغرب ووصل الى مشارف وادي ملوية سنة 1904هـ/1692م قبالة معسكر زيدان على الضفة اليسرى غربي وادي ملوية ودارت المعركة بين الجيشين وانتهت بانهزام القائد المغربي زيدان وتراجعه الى فاس يوم 26 جويلية 1692م/1104هـ بعد خسائر قدرت ب5000 قتيل مغربي مقابل 100 قتيل جزائري[3]، حيث تدخل المولى اسماعيل طالبا الصلح، حيث توسط العلماء والأولياء والموالون للطرفين وله وقعت معاهدة وجدة سنة(1104هـ/1692م) بين الطرفين وكانت بنودها كالتالي[4]:

([1])أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 45.

([2])الصادق مزهود، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطنية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت، ص 184.

([3])أحمدتوفيقالمدني،المرجعالسابق،ص 45.

([4])محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص ص 23،24.

- اعتراف مولاياسماعيل بوادي ملوية هو الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب وهذا البند في صالح الإيالة الجزائرية التي توسعت حدودها من التافنة الى وادي ملوية.
- تتوقف الاعتداءات بين الجانبين.
- يدفع مولاي اسماعيل ضريبة سنوية الى الداي.

وبعد عقد معاهدة الصلح بين مولاياسماعيل والداي شعبان عاد هذا الاخير الى الجزائر حيث أرسل سفارة لإكمال ابرام معاهدة الصلح السابقة الذكر[1].

يرجع الفضل في الانتصار الذي حققه الداي شعبان الى الاستقرار السياسي الذي عرفته الجزائر خاصة بعد توقف الصراع بين رياس البحر[2] والانكشارية[3] حيث فرض رياس البحر سيطرتهم على الحكم[4]لأنهم كانوا يتمتعون بالثراء[5]، وقد حاول الانكشاريون استرجاع سلطتهم على الحكم بشتى الطرق والوسائل[6] مما أدى الى ضعفهم في مطلع القرن 19م، ويعود

---

[1])(Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 135.

([2])رياس البحر: رجال البحر تأسست هذه الفرقة في عهد خير الدين، يطلق على نشاطاتهم وصف القرصنة، ينظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1972، ص 181.

[3])(Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 186.

([4])عبد الله شريط ومحمد الميلي، المرجع السابق، ص 76.

([5])مباركالميلي،تاريخالجزائرفيالقديموالحديث،ج3،مكتبةالنهضةالجزائرية،الجزائر، 1964،ص 181.

([6])أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 101.

السبب في ذلكإلى وجود عناصر فاسدة في الجيش عملت على زرع الفتن بين الاهالي والسلطة العثمانية في الجزائر[1].

- **التحالفات المغربية ضد إيالة الجزائر:**

1- التحالف الفرنسي المغربي وحملة اسماعيل على بني يزناسن 1681م:

بعد الهزيمة التي تلقاها المولى إسماعيل في معركة القويعة، بادر من جديد في محاولاته لإعادة الاستيلاءعلى تلمسان، ففي بداية الأمر، أمر ببناء ما تهدم من وجدة[2]، ثم نقل اليها قبيلتي زرارة والشبانات ونظمها في ديوان الجند وصارت من قبائل المخزن[3]، وبنى حصونا شرقي وادي ملوية لمضايقة بني يزناسن من جهة ومراقبة حدود الجزائر من جهة أخرى[4]،

([1])حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي زبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 149.

([2])محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 17.

([3])قبائل المخزن هي الوسيلة الفعالة واليد القوية للحكام الأتراك والمحور الأساسي الذي ترتكز عليه سياستهم مع باقي سكان الأيالة الجزائرية تلك السياسية التي تهدف أساسا إلى فرض النفوذ التركي وبسط سيادته على المناطق الحيوية ذات الإنتاج الوفير والموقع الاستراتيجي الهام، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، وضعية عشائر المحزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عنها، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7+8 تونس، 1977، ص 68.

([4])الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص ص 61،62.

وبعد ذلك قام بعقد معاهدة مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر وذلك من اجل تعزيز موقفه اتجاه الجزائر، حيث قام في بداية الامر بحملة على بني يزناسن سنة1680م[1]، ثم قام بحملة أخرى على تلمسان التي كانت تتمتع باستقلالية، حيث كان بها الكرا غلة الذين أوكلت إليهم مهمة جباية الضرائب من قبائل الغرب[2]و استولى عليها دون مقاومة تذكر ولإيقاف هذا التحالف قام الداي حسين باشا بإرسال حملات عن طريق البحر لنجدة حامية تلمسان، وجرت المعركة حيث هزم على اثرها المولى اسماعيل شر هزيمة، وانسحب الى المغرب[3]، وبه استقر الوضع عند وادي التافنة باعتباره حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب.

2- التحالف المغربي التونسي الأول وحملة مولاي اسماعيل على الجزائر 1682م:

لم ييأس المولى اسماعيل من هزائمه المتكررة والمتتالية حيث عاود محاولته مرة اخرى، لكن قبل ذلك قام بإخضاع بلاد السوس، تحت سيطرته[4]، كما انتهز فرصة الاضطرابات الناجمة عن حملة دوكين سنة1682م على الجزائر وكذا ثورة الانكشاريين[5] على الداي حسين

([1])محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 19.

([2])الكراغلة وهم: أبناء الإنكشاريين من أم عربية أو بربرية وهو لفظ يعني ابن الأجنبية، ينظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 83.

([3])Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 133

([4])Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 233.

([5])الانكشارية كلمة عثمانية مركبة من كلمتين: يني وجرى، بمعنى العسكر الجديد أي العسكر ويتكون من المشاة انشئ في عهد السلطان العثماني أورخان عام 1396، ينظر: عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ المشرق العربي الحديث ، ص ص 48، 49.

باشا(1683م-1688م) حيث تحالف المولى اسماعيل مع محمد باي تونس[1] من أجل السيطرة على الجزائر بعد أن أظهر مولاي اسماعيل أطماعه في بسط سلطانه على غرب الجزائر[2] كما قام بتحضير كلا من الانجليز والهولنديين الذين زادت حدة غضبهم عندما عقدت الجزائر معاهدة مع فرنسا سنة 1683م، وكذا الضغط على الداي شعبان(1689م/1695م) للحيلولة دون ابرام المعاهدة مع فرنسا[3]، حيث قام المولى اسماعيل بالزحف على الهضاب العليا الغربية الجزائرية فاعترضته حامية بتلمسان وهزمته فانسحب الى وجدة سنة 1694م، بعد خسائر كبيرة وفي الوقت نفسه قام محمد باي تونس بالهجوم على قسنطينة لكن الداي شعبان تصدى له وهزمه بناحية الكاف بتونس[4]، وانتهى التحالف المغربي التونسي دون نتيجة تذكر في تغيير معالم الحدود.

3 - التحالف المغربي التونسي الثاني 1699م:

لم يتقبل المولى اسماعيل أن يرى سيادة العثمانيين على الجزائر بالرغم من هزائمه المتوالية أمامهم حيث كان يأمل أن يطردهم من الجزائر ولأجل ذلك قام بإبرام اتفاق صداقة وتجارة مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر سنة 1699م، ومن جهة أخرى قام بعقد حلف مع باي تونسي مراد علي بن حمودة، وذلك من أجل مهاجمة الجزائر في وقت واحد من جهتي الشرق

([1])Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 134.

([2])أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 55.

([3])Henri Delmas de Grammont; Op, Cit, p 134.

([4])مولاي بالحميسي، إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، ع 2، الجزائر، 1936، ص 48.

والغرب وكل هذا كان بعد السفارة التي قامت السلطة العثمانية بإرسالها إلى المولى إسماعيل سنة 1697، من اجل عقد معاهدة صلح بين البلدين[1].

في بداية الأمر قام مراد باي بالهجوم على قسنطينة وسار متجها نحو الجزائر لكن الباي مصطفى كان له بالمرصاد وتمكن من هزيمته بالقرب من جوامع العلمة شرقي بلاد العلمة وهذا ما اجبر باي تونس على الانسحاب[2]، ومن جهة أخرى أغار زيدان على رعايا الجزائر وشردهم عن نواحي تلمسان وخرب مدينة معسكر مقر باي الغرب الجزائري مصطفى بوشلاغم الذي كان في تلك الفترة غائبا في بعض حملاته[3]، وبعد ذلك عاد زيدان إلى المغرب، ثم قام المولى إسماعيل بحملة أخرى على الجزائر محاولا الاستيلاء عليها ووصل إلى وادي جديوية بنواحي أرزيو عام 1703م[4]، وكان الجيش المغربي يقدر بخمسين ألف جندي أغلبهم من الفرسان بينما كان الجيش العثماني يتكون من 100 ألف فارس وستة ألاف من المشاة وكانت نتيجة هذه المعركة حاسمة[5] حيث قتل على اثرها 3000 مغربي وغنم الداي مصطفى 500 حصان كان منها حصان المولى إسماعيل وسيفه وقتل عشرة من الجند العثماني[6]، لكن هذه الهزائم المتكررة التي كان يتلقاها المولى إسماعيل لم تقض على أطماعه التوسيعية في الجزائر، فبعد ستة سنوات من هزيمته في

(1)الناصري أبو العباس أحمد السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 7.
(2)محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 25.
(3)المصدر نفسه، ص 27.
(4)المصدر نفسه، ص 27.
(5)ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ – العهد العثماني - ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 43.
(6)محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص 27.

جديوية أعاد مهاجمة الجزائر من جديد وقاد حملة باتجاه وهران سنة 1707م وكانت بيد الأسبان، لكنه فشل في الاستيلاء عليها، وعلى اثر ذلك قرر التوجه نحو مرسى أرزيو لكن الباي مصطفى بوشلاغم تمكن من هزيمته وقهره بمكان يدعى الزبوجة غابة الزيتون[1]، وبه عاد مولاي إسماعيل إلى المغرب ونتيجة لهذه الحملةاستقرت الحدود بين الجزائر والمغرب عند وادي ملوية باعتباره حدا فاصلا بين البلدين.

بعد الهزيمة التي تلقاها مولاي إسماعيل في معركة زبوجة لم يجرؤ مرة أخرى على المغامرة، ولكنه اكتفى بإرسال ابنه عبد الملك فأغار هذا الأخير على الجنوب الجزائري، حيث وصل إلى عين ماضي غير بعيد عن الحاميات العثمانية بالشمال وعاد إلى المغرب، كما قام كذلك أحد أبناء أخ المولى إسماعيل بالاستيلاء على قرية بوسمغون وأقام بها حامية (1710م-1713)[2].

إن التحالف المغربي التونسي لم يتوج بأي جديد في شأن وضعية الحدود بين الجزائر والمغرب وثبتت كما هي عليه. أي بقي وادي ملوية حدا فاصلا بين البلدين.

([1])أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766 – 1771، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 46.

([2])أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.

الفصل الثالث:

وضعية الحدود بين الجزائر العثمانية ودولة الأشراف العلوييين

1- الحملات المغربية على الحدود الجزائرية

2- ردود فعل حكام الجزائر من الحملات المغربية

3- التحالفات المغربية (العلوية) ضد إيالة الجزائر

الفصل الثاني:

وضعية الحدود بين الجزائر العثمانية والدولة السعدية

1- ضعف الدولتين الزيانية والمرينية

2- الصراع العثماني السعدي على مناطق الحدود

3- موقف حكام الجزائر اتجاه الحملات المغربية

الفصل الأول:

وضعية الحدود بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى قبل الوجود العثماني

1- حدود مملكتي تلمسان وفاس

1-1- الموقع الجغرافي للمغرب الاوسط وتلمسان

1-2- الموقع الجغرافي للمغرب الأقصى وفاس

2- العلاقات الزيانيةالمرينية

2-1- الصراع المريني الزياني

مقدمة

الخـــــاتمة

الملاحـــق

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

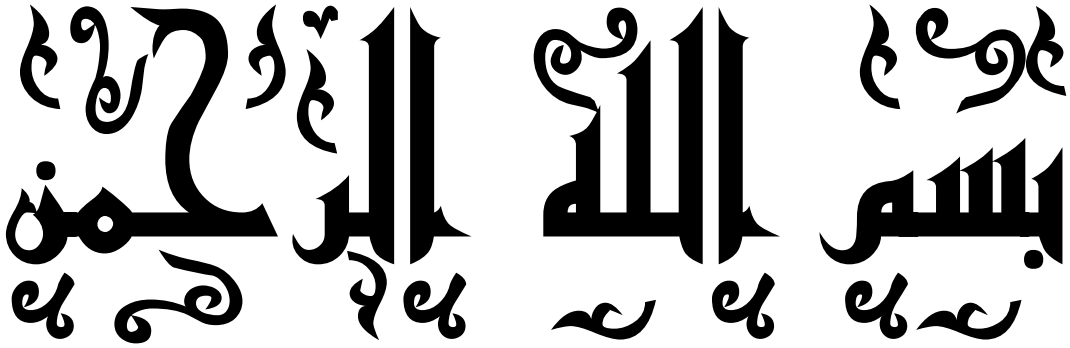
بسم الله الرحمن

الرحيم

أولا: المصادر

1- باللغة العربية:

1- ابن خلدون عبد الرحمان،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 6-7، د ن، بيروت،لبنان 1959.

2- أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754 – 1830)، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

3- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح: العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

4- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تر : يحيى بوعزيز ط1،ج1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،لبنان 1990.

5- محمدبنميمونالجزائري

،التحفةالمرضيةفيالدولةالبكداشيةفيبلادالجزائرالمحمية،

تح:محمدبنعبدالكريم ،ط1،

الشركةالوطنيةللنشروالتوزيعالجزائر،1972.

6- محمدبنيوسفالزياني،
دليلاالحيرانوأنيسالسهرانفيأخبارمدينةوهرانتقديم:المهديبوعبدلي،
الجزائر، 1979.

7- الناصريأبوالعباسأحمدالسلاوي،الاستقصاء
لأخبارالمغربالأقصىج3+4+5، تح: جعفرومحمد،
الدارالبيضاء، 1954.

8- الوزانحسنبنمحمد، وصفإفريقيا،تر:محمدحجيومحمدالأخضر،
الدارالبيضاء، 1954.

2- **باللغةالفرنسية**:

9- DEGRAMMONT(Henri-Delmas),Histoir d'Alger,sous la dominatoin turcs(1515-1830), présentatoin de lemmour merouche, éditoin,Bouhne,2002

ثانيا : المراجع:

1- **باللغةالعربية** :

10- أحمدتوفيقالمدني، حربالثلاثمائةسنةبنالجزائروإسبانيا (1492-1792م) ، الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع ، الجزائر ، دت.

- محمدعثمانباشادايالجزائر(1766-1771)

المؤسسةالوطنيةللكتاب ، الجزائر،1986.

11- حسينمؤنس ،أطلستاريخالإسلام ،ط1،الزهراءللإعلامالعربيمصر، 1987.

12- خيرالدينالتونسي ، أقومالمسالكفيمعرفةأحوالالممالك ،ط2، الدارالتونسيةللنشروالتوزيع ،تونس ، 1986.

13- رشيدالناضوريوالسيدعبدالعزيزسالم، جلاليحي، تاريخالمغربالكبير ،ج3،الدارالقوميةللطباعةوالنشر ، 1966.

14- شوقيأبوخليل، أطلسالتاريخالعربيالإسلامي، ط5، دارالفكر، سوريا، 2002.

15- الصادقمزهود، تاريخالقضاءفيالجزائرمنالعهدالبربريإلىحربالتحريرالوطني ،دارالبعث، الجزائر، دت.

16- عبدالحميدحاجيات، أبوحمومويسىالزياني،حياتهوآثاره، الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع، الجزائر،1974.

17- عبدالرحمنبنمحمدالجيلالي، تاريخالجزائرالعام،ط2،ج2،مكتبةالشركةالجزائرية ، الجزائر،1965.

-

تاريخالجزائرالعام،ط7،ج3،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر،1994.

18- عبداللهشريط ، المباركالميلي ، الجزائرفيمرآةالتاريخ ، مكتبةالبعث،قسنطينة،الجزائر1965.

19- عبدالوهاببنمنصور، قبائلالمغرب ،ج1، المطبعةالملكية ، الرباط، المغرب الاقصى،196.

20- عماربوحوش، التاريخالسياسيللجزائر، منالبدايةولغاية 1962، ط1،دارالغربالإسلامي ، بيروت،لبنان، 1997.

21- عمرعبدالعزيزعمر ، دراساتفيتاريخالمشرقالعربيالحديث

22- المباركالميلي ، تاريخالجزائرفيالقديموالحديث، ج3، مكتبةالنهضةالجزائرية، الجزائر، 1964.

23- محمدبنعمروالطمار، تلمسانعبرالعصور،ودورهافيسياسةوحضارةالجزائر ،المؤسسةالوطنيةللكتاب، الجزائر،1984.

24- محمدحسنالعيدروس، تاريخالعربالحديث، ط1، دارالكتابالجامعللنشروالتوزيع، الكويت، 1998.

25- محمدخيرفارس، تاريخالجزائرالحديثمنالفتحالإسلاميإلىالاحتلالالفرنسي ،ط2، دارالشروق،بيروت، 1979.

26- محمدالعربيالزبيري، مدخلإلىتاريخالمغربالعربيالحديث، ط1، المؤسسةالجزائريةللطباعةوالنشر، الجزائر، 1985.

27- محمدعيسىالحريري،
تاريخالمغربالإسلاميوالأندلسيفيالعصرالمريني
،ط1،دارالقلمللنشروالتوزيع،الكويت، 1985.

28- مصطفىأبوضيفأحمدعمر، القبائلالعربيةفيالمغرب،
عصرالموحدينوبنومرين، ديوانالمطبوعاتالجامعية،
الجزائر،1982.

29- ناصرالدينسعيدونيوالشيخالمهديبوعبدلي،الجزائرفيالتاريخ-
العهدالعثماني- المؤسسةالوطنيةللكتاب، الجزائر،1984.

30- وليامسبنسر، الجزائرفيعهدرياسالبحر، تعريبوتعليق:
زبادیةعبدالقادر، الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع، الجزائر،
1979.

31- يحيبوعزيز ،
موضوعاتوقضايامنتاريخالجزائروالعرب،ج1،دارالهدى،
الجزائر،2004.

2- **باللغةالفرنسية:**

32- CARROT(H), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910.

33- HAEDO (Fray DIgo), histoire des rois d'Alger, traduit et annotée par H.D de Grammont, Alger, 1885.

34- JULIEN (Charles André), Histoire de l'Afrique du nord (Tunis, Algérie, Maroc), T2, paris, 1961.

35- TOURNEAU (Roger), les débuts de dynastie, sadienne jusqu'à la mort du sultan, Mohammed elchikh, Alger, 1557.

36-PINARD.J, apeçu, Histoire statistique et topographique sur l'état d'Alger, paris, 1890.

37-RICARD (Ropert), les sources médites de l'histoire du Maroc dynastie saadienne, paris, 1956.

38-TERRASSE (Henri), Histoire Maroc, Casablanca, 1950.

39-WILLIAM (Esterbezy), la dominations turque dans l'ancienne régences d'Alger, C.Crosselin, paris 1840.

ثالثا: الدوريات:

40-أحمدتوفيقالمدني، تلمسانبينالزيانييينو العثمانيين(1530-1554) مجلةالأصالة، العدد37، مطبعةالبعث، قسنطينة، دت.

41-بالحميسيمولاي، إرشادالحيرانفيأمرالدايشعبان، مجلةالدراساتالتاريخية، العدد2، الجزائر،1936.

42-ناصرالدينسعبدوني، ثورةبنالأحرشبينالتمردوالانتفاضة، مجلةالثقافة ، العدد7+8، 1983.

رابعا: الرسائلالجامعية

43-ارزقيشويتام، نهايةالحكمالعثمانيفيالجزائروعواملانهياره(1800-1830)رسالةماجستير، جامعةالاسكندرية ، مصر، 1998.

44-عبدالجليلقريان، السياسةالتعليميةللدولةالزيانية (633-962هـ/1236-1554)، رسالةماجستير، جامعةقسنطينة، الجزائر، 2003-2004.

45-عماربنخروف، العلاقاتبينالجزائروالمغرب(923-1069هـ/1517-1554م)، رسالةماجستير،سوريا ،1983.

46-محمد السعيد قاصري، العلاقات الجزائرية المغربية (1830 – 1897) "الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا"، رسالة ماجستير، قسنطينة، 2001.

47-محمد سي يوسف، قلج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 1989.

خامسا: الموسوعات والمعاجم:

48-ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، تنسيق: أبو عمران الشيخ، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1995.

49-الموسوعة العربية العالمية، ط2، حرف ميم، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

50-مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية 10، العدد 9.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

51-http://www.echoroukonline.com/montada/showthread.php?

52-http://www.hukam.net/familly.php

الخاتمة:

ان منطقة المغرب العربي تمثل امتدادا جغرافيا موحدا، وكيانا يشترك سكانه في وحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ المشترك، وقد دمجت لعقود في اطار الأمة الاسلامية، وعرفت في العهد الوسيط تجارب وحدة زاخرة، وإثر انهيار دولة الموحدين برزت كيانات مستقلة تخضع لنفوذ الأسر الحاكمة، وشكل دخول العثمانيين للمغرب العربي واختراق الأيبيريين لسيادة المغرب الأقصى تحولات كبرى تمثلت في بروز مفاهيم سياسية جديدة لكيان العربي.

ان مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب كما ذكرنا سابقا تعود جذورها إلى سقوط الدولة الموحدية التي برزت على إثرها مجموعة من الدويلات كان منها: بنو عبد الواد بالجزائر وبنو مرين بالمغرب، حيث كان الصراع على أوجه بين هذه الدول المستقلة حول مناطق الحدود، وتواصل الصراع حتى بعد سقوط دولة المرينيين الذين خلفهم بنو وطاس وساروا على نفس نهجهم، لكن لم يتمكن كلا الجانبين من بسط نفوذهما ورسم حدودهما نهائيا.

استمرار الصراع بين الجزائر والمغرب لكن في هذه المرة بظهور قوى جديدة هي الطرف العثماني في الجزائر والسعدي في المغرب، اللذان استكملا الحملات على الحدود بمجرد سيطرتهما على مقاليد الحكم، لكنهما لم يوفقا في حملاتهما الرامية لتوسيع نفوذهما على حساب أراضي الطرف

الآخر، وتحول كل من العثمانيين والسعديين إلى الانشغال بأمورهما الداخلية ومحاولة لتحقيق الاستقرار.

تجدد الصراع بين العثمانيين في الجزائر مع ظهور الأشراف العلويين في المغرب، وتوليهم مقاليد الحكم، حيث عملت هذه الأسرة جاهدة لإصلاح الأوضاع الداخلية، ثم التفرغ لمواجهة العثمانيين من خلال الحملات والتحالفات التي قام بها حكامها، من أجل الإطاحة بالحكم العثماني وتوسيع مناطق نفوذهم لكن حملاتهم أودت إلى نفس النتيجة، وانتهى الأمر إلى إبرام صلح بين الطرفين، وانشغل كل منهما بالاهتمام بالأمور الداخلية، ومحاولة إصلاحها، وقد تم ترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب خلال معاهدة لالة مغنية1845، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هل انتهت قضية الحدود بين البلدين بابرام هذه المعاهدة، أم أنها لازالت تشغل حيزا في وقتنا المعاصر؟